



# علم الاقتصاد

في عيون علمائه ومفكره

شهادات اقتصادية  
أربعون أنموذجاً

زياد بن محمد القرني

## السلسلة الاقتصادية

( ٣ )

علم الاقتصاد في عيون علمائه و مفكره

شهادات اقتصادية : أربعون أنموذجا

إعداد

أ. د / زيد بن محمد الرماني

المستشار الاقتصادي

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٣٩هـ



## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

هذا الكتاب يقدم شهادات مميزة من اقتصاديين ومفكرين عظام حول جوانب مهمة وقضايا ملحة ومسائل جوهرية ذات بعد اقتصادي. في هذا الكتاب يستعرض المؤلف خيال الاقتصاد ودقته وغموضه وسطحيته وتشويقه وحوافزه، سابرا غور أهميته وجوهره وعارضاً ترهاته وكاريكاتورياته وفلسفته، ومتناولاً عمالقه ومعارفه وأساليبه، وشارحاً أعاجيبه وأسباب مرضه من واقع نبضه وبواباته. ويوضح أيضاً بؤر التعاسة فيه وبؤسه وجنونه وحيرة علمائه لتوضيح حقائقه ومقاييسه وفنونه ومعارفه الجادة. ويساعد هذا الكتاب في فهم واقع علم الاقتصاد وأعاجيبه وإبداعاته. هذا الكتاب سوف يساعدك في فهم علم الاقتصاد والمسائل الاقتصادية من واقع شهادات متخصصة لرجال بارزين.

فإذا كنت أحد رجال الأعمال أو المتخصصين أو المستثمرين أو مجرد مواطن، فسوف يساعدك هذا الكتاب في اتخاذ قرارات أفضل في حياتك العملية والشخصية والعامة. وإذا كنت طالباً، فإن هذا الكتاب سيقدم لك شرحاً أوضح للكثير من المفاهيم الاقتصادية مما تقدمه الكتب المدرسية أو المحاضرات في معظم الأحوال. فليس هذا الكتاب كتاباً عن النظرية الاقتصادية، مع أنه يغطي أهمها، بل هو كتاب عن الحقائق الاقتصادية. لذا فقد أوضحت تأثيرات علم الاقتصاد على الشركات والعملاء والمقرضين والمقترضين وقطاعات المجتمع المختلفة.

فكثيراً ما يحتك الاقتصاد والسياسة أحدهما بالآخر، وإلى حد ما ليست هناك أي مشكلة في ذلك، فآثار علم الاقتصاد تمتد إلى العمل والتمويل والحكومة والسياسة. وعندما يكون لدى الذي يكتب عن الاقتصاد مصلحة إيديولوجية، فإنه بذلك لا يناقش الاقتصاد فحسب بل يقدم وجهات نظر اقتصادية أيضاً.

في هذا الكتاب أوضحت بعض الشهادات المتخصصة عن علم الاقتصاد، مع أن القيمة الحقيقية لقراءته تظهر عندما يرى القارئ آليات الاقتصاد، العرض والطلب والتوسع والركود والسياسة المالية والسياسة النقدية مطبقة على حياته اليومية، في راتبه وحافضة أمواله وحقيبه وكشف حساباته ومحفظته الاستثمارية.



وكما هو متعارف عليه في السلسلة الاقتصادية، فإن هذا الكتاب يتناول موضوعاً صعباً ثم نجعله واضحاً ونجعل قراءته ممتعة بإذن الله تعالى. بينما تقرأ هذا الكتاب أو جزء منه فسوف يساعدك في فهم شيء ما يحدث في العالم. وضع في اعتبارك أن علم الاقتصاد يؤثر عليك يومياً. وإذا نظرت حولك أو استمعت للأخبار أو راقبت ما تفعله الشركات والمؤسسات والحكومة، ستري كل جانب من جوانب الاقتصاد التي نوقشت في هذا الكتاب قيد الممارسة في العالم الواقعي.

للتواصل مع المؤلف :

أ. د / زيد بن محمد الرماني

المستشار الاقتصادي

٠٥٠٥١٥٠٧٥١

جامعة الإمام محمد بن سعود

[zrommany3@gmail.com](mailto:zrommany3@gmail.com)



## شهادات اقتصادية ( ١ )

### العنوان : الاقتصاد مهنة نبيلة

الرسالة : علم الاقتصاد لا يخبرنا بما يجب علينا اختياره، بل يساعدنا فقط على فهم تداعيات اختياراتنا

ليس من السهل أن تكون مفكراً اقتصادياً؛ فالمديرون التنفيذيون للشركات يهاجمونهم لعدم حسابهم التكاليف والأرباح بالدقة المطلوبة، ويتهمهم محبو الأعمال الخيرية بأنهم شديدي التدقيق في التكاليف والأرباح. أما الساسة، فينظرون إلى المفكرين الاقتصاديين على أنهم هادمو الذات الذين لا يسمحون للساسة بأن يعدوا الجماهير بتحقيق الرخاء دون تقديم أي توضيحات. وقد كرس عدد من الكتاب الساخرين وقتهم لمهاجمتهم؛ أمثال جورج برنارد شو وتوماس كارلايل. وفي الواقع بدأ موسم الهجوم على المفكرين الاقتصاديين منذ أن أطلق كارلايل على الاقتصاد اسم ((العلم الكئيب)).

يشعر الاقتصاديون بأنهم يهاجمون ظلماً؛ لأنهم عادة ليسوا المتسببين في الأبناء السيئة، بل هم من ينقلوها فحسب. والرسالة يسيرة: على البشر أن يقدموا على خيارات صعبة. فالجنس البشري لا يعيش في جنة، والعالم لا يمتلئ بأنهار اللبن والعسل. وعلينا أن نختار بين الهواء الأنقى أو السيارات الأسرع، بين المنازل الأكبر أو الحدائق الأكبر، بين المزيد من العمل أو المزيد من اللهو.

إن المفكرين الاقتصاديين لا يقولون لنا إن أيًا من هذه الأشياء سيئ لكنهم يقولون فقط إنه ليس بوسعنا أن نملكها كلها في الوقت نفسه. إن علم الاقتصاد معني بدراسة الخيارات؛ فهو لا يخبرنا بما يجب علينا اختياره، بل يساعدنا فقط على فهم تداعيات اختياراتنا. بالطبع، لم يرض المفكرون الاقتصاديون الأوئل بلعب دور ناقلي الأخبار وحسب. وعلى الرغم من أنهم نالوا ألقاباً ساخرة وغير مهذبة – مثل سميث الأخرق، ومل المتذاكي وكينز الشهواني، وما إلى ذلك - فلا يمكن أن نستخف بهم بسبب دوافعهم.

ومن قبيل المفارقة أن المفكرين الاقتصاديين ينالون بالمثل في أيامنا هذه الكثير من الانتقادات اللاذعة؛ ذلك لأنه – كما لاحظ كينز - بدأ الكثير منهم كفاعلي خير يبحثون عن وسائل لجعل العالم أفضل.



وقد اعتبر ألفريد مارشال أن الاقتصاد مهنة ينبغي أن تمزج بين العلم السديد والإخلاص للبشر. وفيما كان الناس في العصور الوسطى يرون أن هناك ثلاث مهن عظيمة - وهي الطب الهادف لتحقيق الصحة البدنية، والقانون الهادف لتحقيق الصحة السياسية، واللاهوت الهادف لتحقيق الصحة الروحية - كان مارشال يأمل في أن يصبح الاقتصاد المهنة النبيلة الرابعة التي تحقق مستوى أفضل من الصحة المالية، ليس للأغنياء فقط ولكن للجميع. لقد حاول مارشال ببسالة أن يتوسط بين اتجاهين مؤثرين متعارضين: اتجاه نحو اقتصاد رياضي صرف دون أي تطبيق عملي، واتجاه يميل إلى التطرف العاطفي التام دون تفكير نظري دقيق. إن المنهج الذي حارب مارشال من أجل تأسيسه في كامبريدج جمع بين أشد العقول علمية وأشدّها عاطفية، وكان كينز بالطبع أروع نتيجة لهذا المنهج.

لطالما كانت السياسة أقوى رابط بين الاقتصاد والواقع. في الواقع كان الاقتصاد حتى هذا القرن يطلق عليه اسم ((الاقتصاد السياسي)). وخذع السواد الأعظم من ألمع المفكرين الاقتصاديين في المناصب الحكومية بشكل أو بآخر، وفاز اثنان منهم - وهما ديفيد ريكاردو وجون ستيوارت مل - في الانتخابات البرلمانية في بريطانيا. إننا لا نرى في أعظم الاقتصاديين لمحة من الاهتمام العلمي وحسب، لكن قدراً كبيراً من الشغف أيضاً. ونرى في الرموز العديدة للحسابات والإحصاءات علامات واضحة على الاهتمام.

ليس من الصعب معرفة السبب في أن الساسة يسيئون فهم مستشاريهم الاقتصاديين؛ فالاقتصاديون يتكلمون بلغة مختلفة عن تلك التي يستخدمونها مع العامة. إنهم يتكلمون بلغة النماذج. ففي محاولاتهم لتفسير ذلك العالم المعقد المسمى بالاقتصاد، يجب أن يبدؤوا بتبسيط العوامل القليلة المهمة في وقت الدراسة؛ ذلك لأن كل ظاهرة اقتصادية قد تتأثر بآلاف الأحداث. فمثلاً، يمكن أن يعتمد مستوى إنفاق المستهلك على بعض مما يأتي: الطقس، الأذواق، الدخل، التضخم، الحملات السياسية. ولفصل العوامل الأهم وترتيبها، على الاقتصاديين أن يصمموا نماذج تعزل مجموعة من هذه العوامل اللانهائية المحتمل تأثيرها على الظاهرة الاقتصادية. وأبرع الاقتصاديين هم من يصممون أقوى النماذج وأقدرها على الاستمرار.



## شهادات اقتصادية ( ٢ )

### العنوان : سر أهمية علم الاقتصاد

الرسالة : يتعامل علم الاقتصاد مع موضوعات أساسية كثيراً ما تكون قضايا حياة أو موت، وهذا سر أهميته

يمس علم الاقتصاد جوانب حياتنا كلها؛ إذ إن وظائفنا ومعايشنا وقراراتنا الخاصة بالشراء والاستثمار واختيارنا أين نعيش وفي أي مسكن نعيش، حتى طريقة الإدلاء بأصواتنا، كل ذلك يعتمد إلى حد ما على علم الاقتصاد. وبذلك يمثل الاقتصاد – النظام الذي نستخدمه بصفتنا مجتمعاً لتحديد ماذا نفعل ومن يحصل على ماذا – قوة فعالة في حياتنا.

مع ذلك فإن القليل منا فقط في الواقع من يفهم كيفية عمل الاقتصاد، كما أن لدينا وجهة نظر مقبولة بصفة عامة، من النوع الذي تلخصه الأقوال المأثورة مثل: ((الثري يزداد ثراء والفقير يزداد فقراً)) و((الأموال تجني أموالاً أكثر)) و((أفضل الأشياء في الحياة يحصل عليها بدون مقابل)). هناك جانب من الحقيقة في هذه الأقوال إذا ما نظرت إلى أنماط الدخل وعوائد الاستثمار وموضوعات معينة متعلقة بمستوى المعيشة وعلى الرغم من صدق هذه الأقوال المأثورة فإنها لا تقدم معلومات كافية أو بصيرة أو إلهاماً لإرشادنا في حياتنا الاقتصادية، بل هي بدائل لفهم علم الاقتصاد وهو موضوع يجده الكثيرون غامضاً. إن هناك أسباباً عديدة تجعل علم الاقتصاد علماً غامضاً، إلا أنني أظن أن السبب الأساس هو أن معظم الناس يرون الموضوع بأكمله معقداً جداً، ويرجع ذلك جزئياً إلى اللغة. ومثله مثل الرعاية الصحية وإصلاح السيارات والمجالات الأخرى، فإن لعلم الاقتصاد كلماته الخاصة التي يسمي بها الأشياء. ومع أن الكلمات التي تصف النشاط الاقتصادي ربما تكون غير مألوفة فإنها لا تزال كلمات مجردة، ولجميعها معان.

يعتقد الكثيرون أيضاً أن علم الاقتصاد مليء بالرياضيات، ومع إمكانية وجود الكثير من الأرقام في علم الاقتصاد، فإنه يمكن شرح أكثر الجوانب أهمية بلغة يسيرة. وباستثناء ما يحدث في جوانب متخصصة مثل التنبؤ الاقتصادي فإن الحساب الذي يظهر بالفعل في الاقتصاد على نحو غير متوقع يعتبر أساسياً للغاية.



إن علم الاقتصاد علم اجتماعي، وكغيره من العلوم الاجتماعية مثل علم النفس، فإنه يفسر السلوك الإنساني؛ سلوك الناس في الأسواق من حيث: لماذا يشترون ما يشترونه؟ وكيف يحدد أصحاب المتاجر أسعار السلع؟ ولماذا لا يحصل الجميع على ما يريدون؟ كيف يحدد أصحاب الأعمال ما ينتجونه وكم يدفعون للموظفين؟ ما الذي يمكن أن تفعله الحكومة - إن كان بوسعها أن تفعل شيئاً - لمساعدة الفقراء في أن يصبحوا أيسر حالاً؟ يجيب علم الاقتصاد عن هذه الأسئلة، ويجيب عن معظمها دون الاستعانة بالرياضيات.

أحياناً يكون علماء الاقتصاد هم السبب في جعل علم الاقتصاد معقداً، وعلماء الاقتصاد هم الخبراء المتعلمون تعليماً راقياً الذين يدرسون الاقتصاد بعمق ويجرون الأبحاث ويصوغون النظريات ويدرسون الاقتصاد في الكليات والجامعات. علاوة على ذلك يسدي الاقتصاديون النصائح إلى قادة الأعمال والقادة السياسيين بخصوص الاقتصاد، ومن ثم فهم يؤدون دوراً مهماً في المجتمع، إلا أنهم مثل جميع الخبراء يستطيعون التعامل مع تعقيدات تخصصهم لأنهم هم من يخلقونها.

لنواجه هذه الحقيقة: إن كان هناك مبدأ أساس يوجه حياتنا على الأرض، فهو مبدأ الندرة. فليس هناك ما يكفي الجميع من المنازل التي تطل على البحر، والسيارات الفارهة! وإذا ما تناولنا الأمر بجدية أكثر، فليس هناك ما يكفي من الطعام أو الملابس أو الرعاية الصحية لكل من يحتاجها.

ينشأ علم الاقتصاد بكامله - وكل النشاط الاقتصادي - من ندرة السلع والخدمات مقارنة باحتياجات الإنسان ورغباته. وإذا لم يكن هناك قدر كاف من شيء ما لكل من يريده أو يحتاجه فإن المجتمع يواجه مشكلة خطيرة: كيف نحدد من يحصل على هذا الشيء ومن يستغني عنه؟

يتعامل علم الاقتصاد مع موضوعات أساسية كثيراً ما تكون قضايا حياة أو موت، وهذا سر أهميته. وتكمن صعوبة هذا العلم في غموضه؛ فنحن لا نعلم متى سيحدث النمو أو الركود الاقتصادي التالي، ولا نعرف أيضاً أي التقنيات الحديثة ينبغي تشجيعها وأيها لن يحقق نجاحاً، والمؤسف أننا لا ندري كيف نتغلب على الفقر والجوع والجريمة والشروع الأخرى المتأصلة في الواقع الاقتصادي. ومع ذلك فعلم الاقتصاد هو العلم الاجتماعي الذي يهتم اهتماماً خاصاً بهذه الأمور، وهو العلم الذي به من المؤهلات ما يساعدنا في التعامل معها.





## شهادات اقتصادية ( ٣ )

### العنوان : جوهر علم الاقتصاد

الرسالة : إن أحد أسباب دراسة علم الاقتصاد أنه سيساعدك على اتخاذ القرارات في حياتك الشخصية والمهنية

كتاب دروس مبسطة في الاقتصاد لمؤلفه روبرت ميرفي هو دليل إرشادي لطريقة جديدة للنظر إلى العالم. وقد أثبت علم الاقتصاد أنه جدير بأن يتعلمه الجميع. والشخص واسع المعرفة ليس من يقتصر على دراسة الجبر وفلسفة دانتي وأشعاره، والبناء الضوئي فحسب، بل من تكون لديه القدرة أيضاً على تفسير السبب وراء ارتفاع الأسعار.

يَبْدُ أن المنظور الاقتصادي ليس مفيداً في كل الحالات. فدروس كتاب ميرفي لن تفيد كثيراً في مباراة كرة القدم أو حفلة تخرج. أما في حياتك، فستواجه مواقف عديدة غاية في الأهمية لا بد لقراراتك فيها أن تكون مبنية على معرفة اقتصادية سليمة. ليس من الضروري أن يصبح الجميع علماء اقتصاد، لكن من المهم أن يتعلموا كيف يفكرون بعقلية اقتصادية.

يقول ميرفي : في هذا الكتاب نتبنى رأياً مفاده أن الاقتصاد يشكل علماً مستقلاً، تماماً مثلما هو مؤكد أن الكيمياء والأحياء فرعان مستقلان من فروع المعرفة. سوف أتناول دروس كتابي على أساس علمي. لكن انتبه!! عندما نقول إن الاقتصاد علم، فنحن لا نعني أننا سنجري تجارب لاختبار قوانين الاقتصاد، مثلما يبحث عالم فيزياء نووية نتائج تحطيم أنوية الذرات باستخدام مسرّع جسيمات. فهناك فروق مهمة بين العلوم الاجتماعية كالاقتصاد، والعلوم الطبيعية التجريبية كالفيزياء.

إن من المفاهيم المغلوطة الشائعة اعتقاد الناس أن علم الاقتصاد هو دراسة المال. بالطبع لدى علم الاقتصاد الكثير مما يقال عن المال. لكن عكس هذا المفهوم المغلوط الشائع، فإن الاقتصاد أشمل من مجرد دراسة المال فحسب، فهو يشمل دراسة عمليات التبادل التجارية، ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل إن الاقتصاد يتناول حالة شخص واحد منعزل يتخذ إجراءات معينة تهدف إلى تحسين وضعه، عادة ما يطلق على ذلك اقتصاد كروزو.



يقول ميرفي: إياك أيضاً أن تظن أن علم الاقتصاد يتعامل مع اقتصاد افتراضي لا يعنيه إلا اقتناء الممتلكات المادية أو كسب المال. ذاك أحد المفاهيم المغلوطة الشائعة عن جوهر علم الاقتصاد.

إن علم الاقتصاد لا ينصح العمال بقبول أي وظيفة ما دامت تدر أكبر دخل ممكن، ولا ينصح الشركات بالتفكير في الجوانب المالية فقط عند إدارة استثماراتهم.

ولذا يؤكد ميرفي أن أحد أسباب دراسة الاقتصاد هو انه ببساطة علم شيق. وهناك سبب آخر وهو أنه سيساعدك على اتخاذ القرارات في حياتك الشخصية والمهنية. ولهذا السبب وجب على الشباب الراشدين تعلم مبادئ علم الاقتصاد .



## شهادات اقتصادية ( ٤ )

### العنوان : علم الاقتصاد والمعرفة الجادة

الرسالة : يعد علم الاقتصاد من فروع المعرفة الجادة ، إذ هو يعتمد على معايير محددة من البراهين والحجج المنطقية

كتاب اللعب النظيف ما تتعلمه من طفلك عن الاقتصاد والحياة لمؤلفه ستيفن لاندسبرج يحوي مجموعة من الأفكار التي صيغت بدقة بالغة بعد تنميقها وصقلها وتجويدها، من أجل إلقاء ضوء المعرفة على جوانب الحياة الإنسانية المختلفة.

يقول ستيفن: إن طموحاتنا تمتد إلى فهم العالم من حولنا. إن الأفكار الواردة في هذا الكتاب قد خضعت للاختبارات القاسية الخاصة. ومع ذلك، فهناك الكثير من الأفكار التي فشلت في الاختبار. وسبب اهتمامنا بهذا الاجراء، أن رجال الاقتصاد يؤمنون بالكثير من الأفكار التي تصدم الأفراد العاديين باعتبارها خاطئة. بل إن المشكلة الكبرى هي أن رجال الاقتصاد يدركون مدى خطأ الكثير من الأفكار التي يؤمن الأفراد العاديون بأنها صحيحة على نحو لا يحتاج إلى برهان على صحته. فعلم الاقتصاد يعتبر من فروع المعرفة الجادة، إذ هو يعتمد على معايير محددة من البراهين والحجج المنطقية.

كتاب لاندسبرج يحوي الكثير من الموضوعات الاقتصادية، ولما كانت جميعها توافق المعايير، فإنها تستحق أن تؤخذ مأخذ الجد. يقول ستيفن وإني على ثقة مما أقول لأنني قمت بترجمتها إلى صورتها الرياضية بنفسني، الأمر الذي أفعله دائماً كلما كتبت عن إحدى المسائل أو القضايا الاقتصادية. ولذلك فأنا على يقين من أن الأجزاء التي تتحدث عن علم الاقتصاد المحض في هذا الكتاب هي صحيحة بالتأكيد، حتى وإن خالفت توقعاتي قبل أن أجري حساباتي.

ولكن الكتاب من ناحية أخرى لا يقتصر على الموضوعات الاقتصادية الخالصة، وإنما يتطرق إلى موضوعات أكثر أهمية مثل: العدالة والإنصاف والتسامح وتحمل المسؤولية. ولكن تلك الموضوعات من العسير إخضاعها للحسابات الرياضية أو إثباتها بالدلائل المنطقية.



كتاب اللعب النظيف مزيج من المقالات التي تتحدث في قضايا متنوعة يضطر كل من الآباء ورجال الاقتصاد إلى مواجهتها دائماً، وهي عادة قضايا إنسانية أساسية. إن الكتاب يتحدث عن المبادئ التي تحدد لنا الصواب من الخطأ، والتي ربما يعرفها كل أب وتعرفها كل أم، ولكن من الضروري أن يدرسها كل عالم اقتصاد متقلب الرأي وصعب المراس، تماماً كما يدرسها كل طفل مشاكس. لذا فإن موضوع هذا الكتاب يدور حول أساليب الفهم والاستيعاب، ويدور أيضاً حول تعليم الاقتصاد أو استخدام الأفكار الاقتصادية لتعليم الناس التسامح والتعاطف، بالإضافة إلى الدقة الفكرية. كما أن موضوع الكتاب هو استخدام علم الاقتصاد كوسيلة لفهم أسرتك، وبالعكس استخدام كيان أسرتك لتوضيح بعض القضايا الغامضة في الاقتصاد. يقول ستيفن: إن المعيار الذي اعتمدت عليه بالفعل هو المعيار الخاص الذي اعتمده أقراني الذين ألتقي معهم يومياً على الغداء. وهو معيار يقضي بأن الأفكار الناجحة لا بد أن تكون قوية و متماسكة، وأن تتوافق مع المبادئ الأساسية وان تكون قابلة للتطبيق في عدد كبير من النماذج الافتراضية. صحيح أن هذا المعيار يعد أقل دقة من المعايير الرياضية البحتة، ولكنه أفضل معيار متاح على حد علمي.



## شهادات اقتصادية ( ٥ )

### العنوان : علم الاقتصاد فن الطبخ الجيد

الرسالة : لا يمكنك الحصول على شيء معين بدون مقابل.  
هكذا يصبح علم الاقتصاد فن الطبخ الجيد.

يتناول كتاب دعوة غداء - وجبة سهلة الهضم من علم الاقتصاد لمؤلفه ديفيد سميث علم الاقتصاد بأسلوب يختلف عن غيره، فهو لا يحتوي على رسوم بيانية خادعة تحيرك إلى حد قد يلتبس عليك فيه اتجاه الصفحة. فهو يخلو من المعادلات الرياضية المعقدة، فلا مجال هنا لما ليس له تفسير وشرح مبسط وسهل. والأهم من ذلك، أنه في وقتنا هذا الذي يتطلب منا جميعاً معرفة ماهية علم الاقتصاد، سنجد أن هذا الكتاب عملي للغاية. إن قراءته لن تجعل منك مليونيراً، ولكن هذا الكتاب سوف يحدثنا عن الطريقة التي تمكننا من أن يصبح وضعنا أفضل، وإضافة إلى ذلك، فهو أيضاً شيق. إن الهدف منه هو تحقيق إشباع ما، مثله مثل تناول وجبة طعام شهية.

يقول سميث: أما لماذا اخترت عنوان دعوة غداء لهذا الكتاب؟ فليس لأي من الأسباب التي قد تخطر لك ببال، فهو ليس محاولة ملتوية لزيادة المبيعات بعنوان كتاب عن علم الاقتصاد وكأنه إضافة جديدة للمجموعة المتزايدة والأكثر شهرة من كتب الطهي، مع أن الفكرة ليست سيئة. ولكن، على العكس، فالسبب في اختيار هذا العنوان هو العبارة الشهيرة في علم الاقتصاد التي ربما سمع عنها الكثيرون وهي: (لا يوجد ما يسمّى بالغداء المجاني). بمعنى آخر لا يمكنك الحصول على شيء معين بدون مقابل. وهكذا سيصبح علم الاقتصاد فن الطبخ الجيد.

كتاب سميث من جهة هو أداة مساعدة في قراءة الصحف، وبخاصة صفحات الاقتصاد، ومن ثم القدرة على إدراك حقيقة الادعاءات الاقتصادية والادعاءات المضادة من قبل السياسيين.

يقول ديفيد: في كتاب دعوة غداء هناك أكثر مما ذكرناه سابقاً. فعندما أطلب من جمهور القراء من طلاب المدارس أو الجامعات تعلم الاقتصاد، فهذا ليس فقط من منطلق أهمية وضرورة هذا النوع من المعلومات في الحياة المعاصرة، ولكن بسبب أن الطريقة التي يفكر بها خبراء الاقتصاد في المشكلات والطريقة المنطقية لتحليلهم لها، تفيد في كثير من المجالات.



ويقول كذلك: لعدة سنوات طُلب مني أن أوصي بكتاب سهل الاستيعاب عن علم الاقتصاد، وقد صعب الأمر عليّ، فهناك بعض الكتب المنهجية الممتازة عن علم الاقتصاد. لكن هذا الكتاب يعد مختلفاً. وأملّي أن يقرأه كثير من الطلبة ويستفيدوا منه كأداة مكملة لدراساتهم وليس بديلاً لها.

إن ملاحظة خبراء الاقتصاد أثناء العمل لا يعتبر دائماً من المناظر الجميلة. كما أن الفكاهات التي تتداول عن طبيعتهم المترددة كثيرة. ومن هنا يمكنك ضم وتجميع خبراء الاقتصاد في العالم لمناقشة موضوع واحد، ولن تصل لنتيجة نهائية. ولن تصبح بعد قراءة هذا الكتاب خبيراً من خبراء الاقتصاد بين ليلة وضحاها، ولكنه سيشجعك على اتخاذ منهج مختلف عند التفكير في أي شيء.

إن دعوة غداء شأنه في ذلك شأن جميع الوجبات الغذائية الجيدة يتكون من عدة أصناف يمكن هضمها في جلسة واحدة، وأياً كان أتمنى لك الاستمتاع بها.



## شهادات اقتصادية ( ٦ )

### العنوان : فيلسوف الاقتصاد

الرسالة : إن علم الاقتصاد يعتبر أداة لحل الألغاز الغامضة،  
وفي حل الألغاز متعة كبيرة

يقول ستيفن لاند سبيرج في مقدمة كتابه ( فيلسوف الاقتصاد – الاقتصاد والحياة اليومية ) : في نوفمبر ١٩٧٤م وبعد مدة وجيزة من وصولي إلى جامعة شيكاغو كي أبدأ دراستي بها، نشرت جريدة وول ستريت جورنال سلسلة من المقالات تحت عنوان (وسائل إفحام عالم الاقتصاد). وقد كتبها رجل يدعى جون تراسي ماكجراث حيث طرح مجموعة من الأسئلة شديدة السهولة عن الحياة اليومية، وكان يظن أن علماء الاقتصاد سيعجزون عن الإجابة عنها.

في تلك الليلة حين اجتمعت مع أصدقائي على العشاء، وكنا جميعاً من طلبة السنة الأولى، لم تسلم مقالة ماكجراث من سخريتنا، ولما كانت معرفتنا بعلم الاقتصاد لم تتعد القليل، فقد بدت لنا كل أسئلته آنذاك سهلة.

وبعد مضي ما يقرب من عشرين عاماً ازددت فيها علماً ومعرفة، صرت أعتقد أن أسئلة ماكجراث جميعها معقدة ومثيرة للاهتمام.

يقول ستيفن : وفيما يأتي تصوري عن معنى علم الاقتصاد:

• أولاً: هو التطلع إلى هذا العالم بحب صادق للمعرفة والاستطلاع والاعتراف بأنه حافل بالألغاز.

• ثانياً: محاولة حل هذه الألغاز بطرق تتفق مع الفرضية السائدة بأن الإنسان يرمي من وراء سلوكه إلى تحقيق غاية معينة. وقد يصعب أحياناً التوصل إلى حل لهذه الألغاز، مثل ألغاز ماكجراث، ولذلك ندرّب أنفسنا عن طريق محاولة حل ألغاز مماثلة في عوالم خيالية من ابتكارنا نسميها النماذج.



إن كتاب ستيفن (فيلسوف الاقتصاد) هو مجموعة من المقالات الموجزة تشرح كيف يفكر علماء الاقتصاد، وتستعرض كثيراً من المسائل التي نراها غامضة، ولماذا نراها غامضة، وكيف نسعى إلى كشف غموضها. إن أسباب دراسة علم الاقتصاد متعددة وكلها أسباب جيدة، ولكن السبب الذي حاول المؤلف إبرازه في هذا الكتاب هو أن علم الاقتصاد يعتبر أداة لحل الألغاز الغامضة، وفي حل الألغاز متعة كبيرة.

كتاب ستيفن هو تسجيل لمجموعة من أفكار جهاذة علم الاقتصاد في عصره من أمثال: مارك بيلز، وجون بويد، ولورين فينستون، ومارفن جود فريند وبروس هانسن، وجيم كان، وآلان ستوكمان وغيرهم.

وفصول هذا الكتاب هي عبارة عن رؤية عالم الاقتصاد للعالم، وأغلبها يمكن قراءته دون مراعاة للترتيب، ففي بعض فصول الكتاب إشارة إلى أفكار من فصول سابقة، ولكن تلك الاشارات ليست ضرورية لمتابعة تدفق الأفكار.

إن الغرض من أفكار هذا الكتاب كما يقول ستيفن هو تقديم صورة صادقة لأسلوب التفكير الذي يتبناه أصحاب الاتجاه السائد في علم الاقتصاد. وبالطبع، فهناك دائماً مساحة في الاختلاف حول بعض ما ورد في الكتاب.

إن هذا الكتاب يطبق المنطق الاقتصادي على مجموعة هائلة من السلوكيات الإنسانية ولذا فإن ستيفن يميل إلى المبالغة في الشمولية حتى إن جازف بذلك بارتكاب الأخطاء، ذلك لأنه يؤمن أن قوانين علم الاقتصاد عالمية، فهي لا تفرق على أساس الجنس أو العرق.





## شهادات اقتصادية ( ٧ )

### العنوان : حيرة علماء الاقتصاد

الرسالة : إن الكثير من السلوكات التي يعتبرها الآخرون أمراً مسلماً به تثير حيرة علماء الاقتصاد

يبدأ علم الاقتصاد بفرضية هي أن كل السلوكات الإنسانية عقلانية، وبالطبع فإن هذه الفرضية ليست دائماً صحيحة بمعناها الحرفي، فمعظمنا يستطيع أن يذكر استثناءات من بين أقرب الناس إليه.

بيد أن صحة الفرضية على نحو حرفي لا تعد شرطاً أساسياً للبحث العلمي، فمثلاً إذا سألت عالم فيزياء كم من الوقت تستغرقه كرة البولينج لتتهبط إلى الأرض إذا ألقيت بها من فوق سطح بيتك، عندئذ سيفترض مبدئياً أن بيتك قائم في الفراغ، ثم يبدأ بعد ذلك في إجراء الحسابات ليصل إلى الجواب الصحيح.

وإذا طلبت من مهندس أن يتنبأ بمسار كرة بلياردو ضربت من زاوية معينة، فإنه سيفترض مباشرة عدم وجود ما يسمى الاحتكاك، وإذا سألت عالم اقتصاد أن يتنبأ بالآثار المترتبة على ارتفاع قيمة الرسوم المفروضة على مبيعات البنزين، فسوف يفترض أن كل الناس عقلانيون ويمنحك جواباً أقرب ما يكون إلى الدقة.

ومما سبق نرى أن صحة الفرضية لا تقاس بلفظها وإنما بطبيعة نتائجها، وعلى ذلك المعيار يكون للعقلانية سجل جيد من النجاحات.

لذا ، تفترض العقلانية أن الناس يستجيبون للتحفيز، وهي مقولة تؤكدها كثير من الشواهد القوية، وتفترض أيضاً أن استعداد الناس لدفع المزيد في مقابل علبة كورن فليكس وزنها أكبر من استعدادهم لدفع المزيد في مقابل علبة وزنها أقل ، وأن العمال المهرة سيكسبون عادة أكثر من زملائهم الذين تعوزهم المهارة ، وأن الأفراد المحبين للحياة لن يلقوا بأنفسهم من فوق جسر ، وأن الطفل الجائع سوف يملأ الدنيا صراخاً ليعلن عن احتياجاته، كل هذه الأشياء عادة صحيحة.

وعندما نفترض في الناس العقلانية، فإننا بذلك نتجاهل تماماً ميولهم، والمقولة اللاتينية ((إن أذواق الناس لا تخضع للمنطق)) إذ هي إحدى شعارات عالم الاقتصاد.



إذن ، كيف نتعامل مع هذه الظواهر؟ إن الإجابة المنطقية هي أن نقول: ((لا يتصرف الناس بعقلانية طيلة الوقت، إنما في معظم الأحيان، ومبادئ علم الاقتصاد لا تنطبق على جميع التصرفات، إنما على بعضها، وتلك بعض الاستثناءات)).

أو هناك حل بديل، هو أن نتشبت بذلك الوهم الذي يفترض أن كل الناس يتصرفون بعقلانية طيلة الوقت، وأن نُصر على إيجاد تفسيرات عقلانية - مهما كانت شاذة - لكل هذه التصرفات التي تبدو غير عقلانية.

إن كثيراً من المجتمعات الزراعية البدائية تشترك في صفة غريبة؛ فبدلاً من أن يمتلك المزارع الواحد قطعة واحدة واسعة من الأرض، تجده يمتلك عدة قطع صغيرة من الأراضي الزراعية المتفرقة في أنحاء القرية. وقد دار جدل طويل بين المؤرخين حول أسباب هذه الظاهرة التي يعتقد أنها السبب وراء الكثير من أوجه القصور، ومن الاحتمالات المطروحة أن يكون الميراث والزواج هما السبب، فمن جيل إلى آخر يجري إعادة تقسيم قطع الأرض التي تملكها العائلة بين الورثة، فتتحول إلى قطعة صغيرة، ثم تأتي مسألة الزواج، فتزداد قطع الأرض المملوكة للعائلة الواحدة تباعداً وانتشاراً. تعرض هذا التفسير لنقد شديد، فهو يقدم صورة من صور اللاعقلانية، إذا لم لا يتبادل المزارعون قطع الأرض فيما بينهم بصورة دورية بحيث يدمجون ممتلكاتهم ويعززون من قوتها؟

لقد جذبت هذه المشكلة اهتمام عالم الاقتصاد والمؤرخ دون ماكلوسكي الذي يتمتع بقدرة فطرية متفردة على ابتكار التفسيرات الاقتصادية العبقريّة، فبدلاً من أن يسأل: ((أي العادات الاجتماعية أدت إلى هذا السلوك غير العقلاني؟)) طرح ماكلوسكي سؤالاً آخر، فقال: ((لماذا يعد هذا السلوك عقلانياً؟)) وأوصلته الدراسة المتأنية إلى نتيجة هي أن هذا السلوك نوع من التأمين، فمثلاً في حالة حدوث فيضان في القرية، يتعرض المزارع صاحب قطعة الأرض الكبيرة للتدمير الشامل لممتلكاته، ولكن بتوزيع هذه الممتلكات، فإن المزارع يضحى ببعض الزيادة المحتملة في الدخل في مقابل أن يضمن ألا تمحى ممتلكاته تماماً بفعل كارثة ما. إن هذا السلوك لا يعد سلوكاً شاذاً، وإنما كل أصحاب العقارات المؤمن عليها في عصرنا الحالي ينهجون النهج ذاته.

إن الكثير من السلوكات التي يعتبرها الآخرون أمراً مسلماً به تثير حيرة علماء الاقتصاد.



## شهادات اقتصادية ( ٨ )

### العنوان : عمالقة الاقتصاد

الرسالة : إنه لا يمكن لأي فرد أن يكون ناخباً مستتيراً أو قارئاً متفهماً للجريدة اليومية دون معرفة بالاقتصاد

كلنا يتأثر بالسياسات الاقتصادية الحكومية وبالقرارات الاقتصادية للقطاع الخاص، ولا يمكن لأي فرد أن يكون ناخباً مستتيراً أو قارئاً متفهماً للجريدة اليومية دون معرفة بالاقتصاد. ومن يمكنه أن يخطط للمستقبل الذي سنحيا ونعمل فيه نحن وأطفالنا دون أن يكون على دراية بالقوى التي تشكل الحياة الاقتصادية؟!.

إن قضايا السياسة الاقتصادية كالسياسة التجارية، والتضخم، والدور المناسب للحكومة، والقضاء على الفقر، ووسائل رفع معدل النمو الاقتصادي - ناقشها الاقتصاديون لأكثر من قرنين. وكثير من السياسات الاقتصادية الحالية - الجيد منها والسيء - هي نتاج لأفكار أولئك العلماء الراحلين. ولن يتمكن من فهم الكثير من المناقشات الدائرة حالياً حول السياسة الاقتصادية إلا أولئك الذين لديهم على الأقل قدر من الدراية بأفكار الاقتصاديين السابقين.

كان عمالقة الاقتصاد خلال المائتي عام الماضية أناساً مهمومين بالقضايا السياسية المهمة في عصرهم؛ فدرسوا آلية عمل الاقتصاد ليصوغوا سياسات اقتصادية أفضل. لكن على الرغم من اهتمامهم بالسياسة فلم يكونوا من المجادلين أو السياسيين، بل كانوا أناساً سعوا لإقناع معاصريهم في الحكومة وفي أوساط العامة الأوسع بأرائهم من خلال التحليل والبرهان المستوفيين لمعايير النقاش المهني.

ومثل أي مجال علمي، يتقدم علم الاقتصاد من خلال كشف مواطن قصور الأفكار السابقة. ومع أن علم الاقتصاد لا تتوافر فيه فرص التجريب المتاحة للعلوم الطبيعية، فإن الاقتصاديين يمكنهم استخدام الملاحظة المنهجية وتحليل التجارب لرفض النظريات القديمة وصياغة نظريات جديدة.

ينظر الكثيرون - بمن فيهم الكثير من خبراء الاقتصاد - إلى الاقتصاد بالطريقة عينها التي ينظر بها أحد الأفراد الراغبين في شراء منزل إلى أحد نماذج المنازل المعروضة عليه.



إن العبارة التقليدية ((الموقع، ثم الموقع، ثم الموقع)) قد تصلح لشراء منزل بثلاث غرف نوم ، إلا أنها عديمة القيمة عندما نكون بصدد تحليل اقتصاد دولة. تركز كتب الاقتصاد التقليدية بشدة على عامل الموارد الطبيعية، الذي يقول إن الدولة التي تنعم بكميات كبيرة من المعادن والموارد الطبيعية تتميز عن غيرها. هل هذا صحيح حقاً؟!

إن وجود قدر كبير من الثروات في بلد ما قد يكون نعمة ونقمة. إن الأرض في أجزاء كثيرة من أفريقيا مليئة بالمعادن، لكن دولها تعاني التخلف الاقتصادي نظراً لسيطرة طبقة صغيرة على السلطة تمنع المجتمع من أن ينال نصيبه من رأس المال.

إن تاريخ الفكر الاقتصادي يعلمنا أن النجاح لا يحالف إلا الجوعى والمتواضعين والمرنين .

لقد أعطتنا التسعينيات الكثير من الفرص الجديدة لكي نختبر حكمة الاقتصاديين ونقيم أفكارهم. والآن، يطرح القرن الحادي والعشرون تحدياته، وستكون أفكار الاقتصاديين القديم معنا كي تقدم لنا المساعدة.



## شهادات اقتصادية ( ٩ )

### العنوان : نبض حياة الاقتصاد

الرسالة : إنَّ البيانات تعد نبض حياة الاقتصاد وأهم ما يحتاجه كل من يريد فهم التطورات الاقتصادية

يمكن قياس كل جوانب النشاط الاقتصادي تقريبا ، ويقاس معظمها بالفعل فان الإنفاق الاستهلاكي واستثمار الشركات والنفقات الحكومية والصادرات والواردات جميعها عناصر محسوبة، وكذلك عدد المنازل تحت الإنشاء والسيارات المباعة والأفراد الباحثون عن عمل وأولئك الذين يعملون بالفعل . إن كل هذه المعلومات تساعد الناس في فهم النظام الاقتصادي بمن فيهم غير الاقتصاديين والذين لا يريدون أن يصبحوا منهم.

يريد الاقتصاديون أن يصبحوا قادرين على معرفة ما يحدث في الاقتصاد بمنأى عن تأثير التضخم، ويريدون معرفة أن إجمالي الناتج المحلي أو الصادرات أو الدخل تزيد بالفعل وأنها ليست متضخمة بسبب دولار يفقد قيمته. لذا من أجل التخلص من تأثير التضخم فإنهم يحولون الدولارات بسعر الصرف الحالي إلى دولارات حقيقية، لن أضايقك بالحسابات التي يستخدمها الاقتصاديون لفعل هذا الإجراء مع أنهم يقومون بذلك بالفعل، إلى جانب أنهم عدلوا القيمة الحقيقية إلى قيمة الدولار في عام آخر، لنقل مثلا عام ١٩٨٥ . والإجراء المهم هو تحويل قيمة إجمالي الناتج المحلي في كل السنوات إلى قيمة العملة في سنة الأساس، وبهذه الطريقة فإنك تعقد مقارنة بين النمو من عام إلى آخر في إجمالي الناتج المحلي الحقيقي وليس إجمالي الناتج المحلي الاسمي.

لذا ، تستخدم الرسوم البيانية الخطية على نطاق واسع في مجال الاستثمار من أجل تتبع أداء الأسهم المختلفة. وفي مجال التمويل تستخدم أيضاً من أجل تتبع المبيعات والنفقات والأرقام الأخرى.

ففي علم الاقتصاد نستخدم الرسوم البيانية الخطية بصفة رئيسة من أجل معرفة اتجاه متغير ما مثل إجمالي الناتج المحلي والدخل وأنواع محددة من الإنفاق والإنتاج على مدار الوقت.



ومن ثم يحاول الاقتصاديون التنبؤ بالأداء المستقبلي لإجمالي الناتج المحلي والدخل والإنفاق والإنتاج والمتغيرات الأخرى باستخدام الرسم البياني الخطي ودالته الرياضية الأساسية.

في علم الاقتصاد وفي الشركات ، تعد الجداول والرسوم البيانية الأدوات الرئيسيتين لتنظيم البيانات وتقديمها وتحليلها.

فعند التعامل مع البيانات الاقتصادية والأرقام الأخرى مثل البيانات المالية، لنحترس من الطرق التالية الخاصة بسوء تفسير المعلومات:

ارتباط المتغيرين لا يعني وجود سببية.

التعامل بحذر مع النسب المئوية.

إن البيانات تعد نبض حياة الاقتصاد وأهم ما يحتاجه كل من يريد فهم التطورات الاقتصادية ومتابعتها، وتعد الجداول والرسوم البيانية الأدوات الرئيسيتين للتعامل مع البيانات الاقتصادية.

ولنخذ حذرا من أن الأسلوب الذي تقدم به المعلومات الاقتصادية وتناقش يمكن أن يؤثر على فهمنا للأحداث الاقتصادية.



## شهادات اقتصادية ( ١٠ )

### العنوان : البوابات المقفلة في الاقتصاد

الرسالة : على غرار التيتانيك إنّ ثمة الكثير من البوابات المقفلة في الاقتصاد ، والمراكب المعزولة

تفتتح روث سايدل كتابها ((النساء والأطفال في المقام الأخير)) برواية غرق سفينة التيتانيك غير القابلة للغرق. في الواقع، كانت النساء والأطفال أول من يجب إنقاذهم في تلك الليلة المرعبة، أي أولئك الذين في الصفين الأول والثاني، لكن، لم تنج غالبية النساء والأطفال، فقد كانوا في الصف الثالث.

يقول مايكل زيرمان في كتابه ((الفلسفة البيئية)): إن حال الاقتصاد العالمي يشبه بطرق كثيرة حالة التيتانيك، براق ووافر ويعد، غير قابل للغرق. لكن كما لاحظت روث سايدل، على الرغم من مفاهي الأرصفة وحمامات الساونا، ودكاكين الترف، فإننا أيضاً نفتقر إلى قوارب نجاة لكل شخص عندما تقع الكارثة.

وعلى غرار التيتانيك، ثمة الكثير من البوابات المقفلة في الاقتصاد العالمي، والمراكب المعزولة، والتدابير التي تكفل أن تكون النساء والأطفال أولاً، ليس في الإنقاذ، بل في السقوط في هاوية الفقر.

كان ينبغي أن تحدث التنمية الوفرة والعافية للجميع في العالم الثالث. لقد حققت هذا الوعد في بعض المناطق ولدى بعض الشعوب، أما بالنسبة إلى معظم المناطق والشعوب فقد جلبت معها، بدلاً عن ذلك، التدهور البيئي والفقر.

فأين أخطأ النموذج الإرشادي للتنمية؟!

أولاً: لقد ركّز حصرياً على نموذج التقدم المستمد من الاقتصاديات الغربية المصنعة، مفترضاً أن الخط الغربي في التقدم متيسر للجميع. ولذلك فإن التنمية التي تعني تحسين عافية الجميع، جرت مماثلتها مع المقولات الاقتصادية المغربية، حول الحاجات البشرية والإنتاجية والنمو.

إن المفاهيم والمقولات المتصلة بالتطور الاقتصادي والانتفاع من الموارد الطبيعية والتي انبعثت في السياق الخاص بالتصنيع والنمو الرأسمالي في مركز السلطة الاستعمارية، وصلت إلى مستوى أصبحت فيه فرضيات كلية يعتقد أنها قابلة للتطبيق بنجاح في السياق المغاير تماماً المتصل بتحقيق الحاجات الأساسية للشعوب في المستعمرات أي بلدان العالم الثالث.



وكما أشارت روزا لوكسمبورغ فإن التطور الصناعي المبكر في أوروبا الغربية تطلب بالضرورة احتلالاً مستمراً للمستعمرات بواسطة القوى الاستعمارية وتدمير الاقتصاد الطبيعي المحلي فيها.

ثانياً: ركزت التنمية على المؤشرات المالية حصرياً من قبيل مؤشر GNP أي الناتج الوطني الإجمالي. وما لا تستطيع هذه المؤشرات إظهاره هو التدمير البيئي ووجود الفقر المرتبطان بعملية التنمية.

إن المشكلة في قياس النمو الاقتصادي بواسطة مؤشر الناتج الوطني الإجمالي تتمثل في أنه يقيس بعض التكاليف معتبراً إياها منافع، مثلاً ضبط التلوث، لكنه يخفق في القياس الكامل للتكاليف الأخرى. ففوق حسابات الناتج الوطني الإجمالي يضيف قطع أشجار غابة طبيعية ثروة إلى النمو الاقتصادي على الرغم من أنه يخلف وراءه منظومات بيئية مستنفذة، وكذلك يخلف أيضاً مجتمعات زراعية و غابات مستنفذة.

ثالثاً: إن المؤشرات من قبيل الناتج الوطني الإجمالي تستطيع فحسب قياس تلك النشاطات التي تحدث عبر آلية السوق، بغض النظر إن كانت هذه النشاطات منتجة أو غير منتجة أو مدمرة.

ففي اقتصاد السوق، يكون المبدأ المنظم لاستخدام الموارد الطبيعية هو زيادة الأرباح والتراكم الرأسمالي إلى الحد الأعلى وتُدار الطبيعة وحاجات الإنسان من خلال آليات السوق.

أخيراً، إن النموذج الإرشادي التقليدي في التنمية يتذهن الفقر فقط بواسطة غياب نماذج الاستهلاك الغربية أو بواسطة المداخل النقدية، ولذلك فهو غير قادر على تضمين الفقر الذي يحدثه تدميرها في أثناء عملية التنمية.

ختاماً يمكن القول أن المفارقة والأزمة في عملية التنمية تنجمان عن المطابقة الخاطئة بين الفقر المتذهن ثقافياً والفقر المادي الحقيقي، وعن الخطأ الذي يعتبر نمو الإنتاج السلعي أفضل وسيلة لتلبية الحاجات الأساسية.





## رؤى اقتصادية ( ١١ )

### العنوان : الاقتصاد بين الخيال والدقة

الرسالة : إنَّ أهم شيء في علم الاقتصاد هو أن دور الحقيقة والزيف أو الصدق والكذب دورٌ شديد الدقة

إنَّ علم الاقتصاد لا يفسّر فقط طريقة عمل الآليات التي تتحكم في العمليات الاقتصادية ( الانتاج والاستهلاك والادخار والاستثمار والبيع والشراء وتدفق الموارد ) ، والمعاملات الاجتماعية التي تجري ضمن سياق هذه العمليات، لكنه يشكّل أيضاً أساساً لصياغة استراتيجيات فعالة للتنمية طويلة المدى وتحقيقها. فعلم الاقتصاد الجيّد يجمع بين كونه علماً وصفيّاً يصوّر الأشياء كما هي، وعلماً معيارياً يضع المؤشرات، ويرشد إلى النمط الصحيح الذي ينبغي أن تكون عليه الأمور. أي إن علم الاقتصاد ينبغي ألا يكتفي بصياغة توقعات مجردة وسلبية للمستقبل، بل ينبغي أيضاً أن يشكّل أساساً للتوصل إلى برنامج تنموي فعال وكيفية تنفيذه.

المشكلة هي أنّ علم الاقتصاد على عكس الفيزياء أو الطب أو الهندسة ليس علماً تجريبياً في الأساس. فلا توجد مختبرات يمكنك أن تجري فيها بعض التجارب لتتأكد من صحة فرضية اقتصادية معينة، بل عادة تعلن الفرضية أولاً، ثم لا تتبين مواءمتها للكائنات الحية في الاقتصاد والمجتمع إلا فيما بعد. فإذا أردنا تطبيق الاقتصاد القائم على تأكيد الفرضية العلمية عملياً من خلال العمليات الاقتصادية الواقعية، فمن الضروري أن نتحرى المهارة في تنفيذه، لأن الناس ليسوا فنّان تجارب.

العلم قويّ إذن، لكن في بعض الأحيان لا تكون قوته كافية لإحراز النجاح. وللأسف كثيراً ما تأتي الحقيقة العلمية في المقام الثاني. ففي بعض الأحيان تكون الغلبة لأشباه العلماء أو الجهلاء، الذين يميلون بشدة إلى التفسيرات المفرطة في البساطة، أكثر من ميلهم إلى البراهين العلمية المعقدة.

إن الفكر السياسي والاقتصادي يسلك دروباً شتى. والاكتشافات التي يتوصل إليها العلماء قد تستدعي التقدير والاستحسان، أو في أحيان أخرى تبعث على النفور والإنكار.



لنكن صرحاء، فأسوأ شيء هو الكذب في ما يطلق عليه اسم علم الاقتصاد. لأننا في زمن يتحول فيه علم الاقتصاد الآن إلى علم زائف. أهم شيء في علم الاقتصاد هو أن دور الحقيقة والزيف أو الصدق والكذب دورٌ شديد الدقة. ولا نزال للأسف لا ندرك سوى القليل عن هذا الموضوع. إن بعض علماء الاقتصاد يكذبون، مدفوعين بدوافع متعددة تتعلق في أكثر الأحيان بتعصب مذهبي، أو قد يكذبون مدفوعين بميولهم السياسية، أو حتى لسبب أفته من ذلك هو أنهم يتكسبون من وراء هذا الكذب. عندما يخطئ علماء الاقتصاد العارفون فيما يقولون ويكتبون، يمكننا أن نواصل النقاش على أسس موضوعية. لكننا نواجه معضلة كبرى عندما يكون هؤلاء على علم بالحقيقة لكنهم مع ذلك يقولون ويكتبون شيئاً آخر. إذن المشكلة مشكلة أخلاقية.

يقول أحدهم : نصحني أحد الأصدقاء بقوله: أَلْف كتاباً ضخماً أكاديمياً بحثاً يحوي الكثير من المعادلات، بحيث لا يفهم أي شخص أي شيء. فحفظت هذه النصيحة القيمة، وقررت أن أفعل العكس؛ بالأضمن كتابي معادلة واحدة، وأن أكتب بحيث يفهم الجميع كل شيء. ولا أدري أي الأمرين أصعب.

نعم يمكن استخدام الرياضيات في الاقتصاد، لكن استخدامها ليس حتمياً، مثلما هي الحال في الفيزياء. ويمكن استخدامها في البحث، بل ينبغي ذلك، لكن لا حاجة لفرضها على القراء.

إن الاقتصاد يسلك مساراً وسطاً بين الخيال كما نراه في الأفلام السينمائية وبين الدقة الموجودة في العلوم البحتة. وكلما اقترب علم الاقتصاد للدقة كان ذلك أفضل، والأفضل على الإطلاق هو الجمع بين دقة الرياضيات وتشويق الأفلام السينمائية.

ختاماً يمكن القول: ينبغي أن يكون الاقتصاد بسيطاً قدر الإمكان، لكن ليس أبسط من ذلك.



## رؤى اقتصادية ( ١٢ )

### العنوان : الاقتصاد بين الغموض والسطحية

الرسالة : كثيراً ما يُساء فهم طبيعة علم الاقتصاد، وكثيراً ما تكون النظرة إليه نظرة تشوبها الحيرة، وتعوزها الثقة

كثيراً ما يُساء فهم طبيعة علم الاقتصاد، وكثيراً ما تكون النظرة إليه نظرة تشوبها الحيرة، وتعوزها الثقة، ومن ثمَّ يُنتقص قدره بصورة تدعو إلى الأسف، فهو يُنَّهَم بالغموض من جهة، ويوصف بالسطحية من جهة أخرى، ويقول منتقدوه بوجه عام: إنه أخفق في وضع حلول ذات قيمة عملية في معالجة ما يجد من مشكلات عالمية عاجلة.

إنَّ أيَّ كاتب أو باحث يتناول موضوعاً كبيراً قد يترك بالضرورة كثيراً من التفاصيل، إلا أنَّ عرض الخطوط العريضة في علم الاقتصاد ربما يساعد على إبراز أهمية هذا العالم في عالمنا الحديث، وربما يبعث على الاهتمام بذلك العلم الاقتصادي ويقويه، وهذا الاهتمام بدوره ربما يؤدي إلى تقدير ذلك العالم التقدير الذي يستحقه.

وهذا أهم هدف يساعد أيَّ كاتب أو باحث اقتصادي متخصص على مناقشة مشكلات عصره الاقتصادية، وقضايا بلده الاقتصادية، ومبادئ العلوم الاقتصادية؛ لأن علم الاقتصاد يعين الناس على تفهم مشكلاتهم التي تعرض لهم باعتبارهم أفراداً في المجتمع.

عندما نتأمل نشاط الناس رجالاً ونساءً في ساعة من ساعات الصباح ليوم من أيام العمل، نرى غالبيتهم تنصرف إلى أعمال مختلفة، وتنهمك في مشاغل كثيرة متنوعة في المصانع والحقول، والمكاتب والسكك الحديدية، والمدارس والمستشفيات، والمصارف والأعمال الحكومية المختلفة.

إنَّ نشاط جميع هؤلاء على اختلافهم واختلاف أعمالهم يشترك في أمرين: أولهما: أنهم جميعاً يهدفون من وراء أعمالهم إلى تحصيل أسباب عيشهم، فما يكسبونه مقابل ما يبذلون من نشاط وجهد يمكِّنهم من تحقيق حاجاتهم الضرورية؛ من طعام وشراب، ولباس وسكن، وقد يفيض عن الحاجات الضرورية لهم، فيستخدمونه للترفيه والترف، أو يدخرون جانباً منه.



وثانيهما: أنهم في الوقت الذي يعملون فيه لتحصيل عيشهم، يسهمون في إنتاج سلع أو تقديم خدمات يحتاج إليها غيرهم من أفراد المجتمع.

هذا النشاط المشترك الذي يدور حول تحصيل أسباب العيش عن طريق إنتاج سلع وخدمات، هو ما يعرف بـ(النشاط الاقتصادي)، ومجموع أوجه هذا النشاط الذي يقوم به أولئك الأفراد هو ما يُسمّى (النظام الاقتصادي).

وعلى الرغم من أهمية النظام الاقتصادي وأثره البالغ في حياتنا اليومية، فإن الذين يهتمون بمعرفة أي شيء عنه قليلون، مع أنّ علم الاقتصاد يلقي الضوء على الحياة المادية للإنسان، ولا تقل أهمية الإلمام بقدر منه عن أهمية فهم القواعد الأساسية في الصحة، أو في التعليم والتربية.

إنّ المعلومات الاقتصادية تساعدنا على فهم لماذا نسعى لتحصيل أسباب العيش؟ ولماذا يختار كل منا مهنة خاصة يقبل عليها بذاتها؟ وكيف ننظم ما نكسب أو نحصل عليه من دخول؟ وما النظام الذي يخضع له في شراء ما نحتاج إليه من سلع؟ وكيف تصل السلع إلى المستهلكين منّا؟ سواء أكانت من الإنتاج الخارجي أم من الإنتاج المحلي؟ وما الأسس التي تتحدد عليها أسعار السلع التي ندفعها، وقليل الحصول عليها؟ ذلك لأن هذه الأمور كلها من موضوع علم الاقتصاد.



## شهادات اقتصادية ( ١٣ )

### العنوان : الاقتصاد والتشويق

الرسالة : إن هناك القلائل من خبراء الاقتصاد ممن يستطيعون توصيل التشويق الكبير الذي ينطوي عليه تحليل المفاهيم الاقتصادية

يظن بعض الناس أن علم الاقتصاد علم كئيب، كما وصفه توماس كارليل منذ أكثر من مائة عام، وهذا لأنه على حد قوله - يبدو مملاً ومبهماً ويفتقر إلى التشويق، ويعرض الأمرين دون اختيار أحدهما، وتكرر به عبارة ((من جهة ما)) ((ومن جهة أخرى)). ولذلك ذكر هاري ترومان أنه لتجنب الغموض والالتباس ينبغي تعيين مستشارين اقتصاديين ذوي وجهة واحدة.

وفي الواقع كان يدور في ذهن كارليل فكر مختلف حين استخدم هذا التعبير. فما أراد أن يذهب إليه كارليل هو أن الندرة متغلغلة في شتى جوانب الحياة، أي أننا علينا الاختيار بين إشباع رغبات متبارية، مثل الاختيار بين الإنفاق اليوم والإنفاق غداً. وكذلك الاختيار بين القيم والأهداف المتضاربة.

وبالفعل يعتقد كثير من الناس أن علم الاقتصاد والمشتغلين به ثقلو الظل من الناحية الاجتماعية، أي أنهم فاترو الإحساس تماماً.

فهناك من يذهب إلى تعريف رجل الاقتصاد بأنه: شخص يجيد التكلم بلغة الأرقام، ولكن ليس لديه المقومات الشخصية التي تؤهله ليصبح محاسباً.

وسادت تلك الفكرة المعتمدة عن رجال الاقتصاد؛ بسبب ميلهم للاستخدام المفرط للرياضيات والرسوم البيانية المحيرة دائماً في كتاباتهم في كثير من الأحيان في الاعتراف بما جهلونه.

إذن . لماذا يستهزئ بعض الناس بعلم الاقتصاد؟!

ولماذا يتجهم الطلاب عندما يتحتم عليهم دراسة علم الاقتصاد كفرع من فروع المعرفة؟!

أعتقد أن الأسباب تكمن في أن معظم الكتابات الاقتصادية لا تُصاغ بصورة جيدة، بل وتستند على التلاعب بمسائل الرياضيات والرسوم البيانية المعقدة.

بالإضافة إلى أن هناك القلائل من خبراء الاقتصاد ممن يستطيعون توصيل مدى التشويق الكبير الذي ينطوي عليه تحليل المفاهيم الاقتصادية أو إيضاح مدى ارتباطها بحياتنا اليومية.



في الواقع، إنّ علم الاقتصاد أكثر صعوبة من العلوم الطبيعية؛ لأنه من غير الممكن إخضاع الظواهر الاقتصادية للتجارب المعملية المحكمة، ولأن سلوك الأفراد لا يمكن التنبؤ به، لذلك، جذب الاقتصاد السلوكي وهو فرع من فروع الاقتصاد، انتباه الكثيرين، وذلك لأنه يربط بين أفكار علماء النفس ورجال الاقتصاد.

بيد أننا ما زلنا عاجزين عن التنبؤ بسلوكيات الأفراد بأية درجة من الدقة. فنحن نعرف أن السلوك الفردي تحركه الدوافع كما نعرف أن الضوابط المنطقية تحكم الأنشطة الاقتصادية.

وقد تكون العلوم الاقتصادية لا تتمتع بقدر كبير من الدقة، بيد أنها تؤثر تأثيراً مباشراً على حياتنا، كما أنها تؤدي دوراً مهماً في وضع السياسات. فلا غرابة إذا كان شعار بعض الناخبين ((الاقتصاد هو المهم)).

ويسود تأثير خبراء الاقتصاد تأثيراً متزايداً في مجالات الأعمال التجارية والأوساط المالية. كما يؤثر الاقتصاديون على عدد من القرارات التجارية، فكثير من شركات ومؤسسات الاستشارات الاقتصادية تستعين بالاقتصاديين في المهام التجارية، بدءاً من التخطيط الاقتصادي وحتى مراقبة المخزون. والحقيقة هي أن التحليل الاقتصادي مفيد للغاية بالنسبة للمستثمرين والمنتجين وكذلك واضعي السياسات الحكومية.

ختاماً يمكن القول إن علم الاقتصاد يمكن أن يكشف الكثير من القضايا اليومية المعقدة. فلا ينبغي أن تقتصر قراءة علم الاقتصاد على الخبراء فحسب، فهذا العلم على جانب كبير من الأهمية والمتعة، لذا فإن الاقتصاد عارياً قد ينطوي بالفعل على كثير من التشويق.



## شهادات اقتصادية ( ١٤ )

### العنوان : الاقتصاد ولعبة محاكاة الحياة

الرسالة : إنّ هناك فكرة تتردد كثيراً وهي أن أفضل وسيلة لتعليم الطلاب الاقتصاد هذه الأيام هي من خلال ألعاب الكمبيوتر

هناك فكرة تتردد كثيراً وهي أن أفضل وسيلة لتعليم الطلاب هذه الأيام هي ألعاب الكمبيوتر. يقول ستيفن لاند سبيرج مؤلف كتاب ( فيلسوف الاقتصاد ) عدت للتو من اجتماع بخصوص تصميم إحدى ألعاب الكمبيوتر عن الأسواق المالية، وفي هذه اللعبة يدير كل طالب مشروعاً خيالياً، ويجمع رأس المال عن طريق بيع الأسهم أو السندات كيفما يتراءى له، ثم يستخدم رأس المال في شراء عناصر الإنتاج المختلفة، وينسق عمل هذه العناصر المختلفة بحيث يحصل في النهاية على منتج، ويجني الأرباح حسب أدائه.

هنا نجد أنفسنا أمام سؤال مهم: ما مقياس النجاح في ((لعبة محاكاة الواقع الاقتصادي)) تلك؟ أرى أن نستخدم نفس المقياس الذي يستخدمه علماء الاقتصاد لقياس النجاح في لعبة الحياة نفسها، وهذا المقياس لا ينظر إلى معدل الإنتاج أو أصول الممتلكات وإنما ينظر إلى قدر الاستمتاع برحلة الحياة.

واستكمالاً للعبة محاكاة الواقع الاقتصادي، فلنجعل مكافأة العمليات التجارية المرعبة عن طريق طباعة بعض الكوبونات التي يستطيع الطلاب استبدالها بسلع استهلاكية ذات قيمة حقيقية ، وبإمكان الطلاب استبدال الكوبونات فوراً، أو الاحتفاظ بها لاستخدامها في المستقبل، أو اقتراض بعضها من الطلاب الراغبين في الإقراض. وهناك يوم يختار بصورة عشوائية لكل طالب ينتهي فيه دوره في اللعبة بأن ((تموت)) الشخصية التي يلعبها وعندها تنتقل مدخراته إلى ((وريث)) محدد، وتنتهي كذلك فرصه في الاستهلاك.

هكذا تنتهي اللعبة؛ فلا يحصل الطلاب على درجات لاشتراكهم في اللعبة، ولا يوجد معلم يتابعهم، ولا يجدون من يخبرهم إن كان أدائهم جيداً أم ضعيفاً، فالطلاب صورياً يعيشون ثم يموتون، وإذا كان أدائهم جيداً يحصلون على مكافآت، وإذا قرر الطالب أن الأمر لا يستحق عناء الأداء الجيد، فلا بأس بذلك.



يتعلم الطلاب الكثير من هذه اللعبة، فمنها يتعلمون أن النجاح في الحياة لا يقاس بالمقارنة بما حققه الآخرون وإنما بتحقيق ما يُرضي الطموح الشخصي للإنسان، ويتعلمون أن في ((لعبة الحياة)) هناك الكثير من الفائزين، وأن فوز أحد اللاعبين لا يقلل أبداً من قيمة نجاح الآخرين، ويتعلم الطلاب أيضاً أن العمل الجاد لا بد له من مكافأة، إلا أنه يحرم صاحبه من ممارسة بعض الأنشطة الأخرى، وأن الطموحات التي يتنافس الناس من أجل تحقيقها تختلف تماماً من فرد إلى آخر، والأهم من كل ما سبق أنهم يتعلمون أن جوهر الحياة الاقتصادية ليس العمل الجاد وتكديس الأشياء فقط، بل هو استهلاك أمثل لهذه الأشياء والاستمتاع بأوقات الفراغ.

ولا تتصور أنني من علماء الاقتصاد الذين يتحمسون ظاهرياً لمبادئ علم الاقتصاد، بينما يعترفون في أنفسهم أن الحياة تختلف كثيراً عما تقدمه النماذج الاقتصادية، فالعكس هو الصحيح، ولعبة محاكاة الحياة المذكور أنفاً تعد تأكيداً صريحاً على القيم التي يهتم بها علماء الاقتصاد، فكل النماذج الاقتصادية السائدة تفترض أن الهم الأكبر للناس هو الاستهلاك أكثر والعمل أقل، وكل هذه النماذج لا تحكم على أية سياسة اقتصادية بالنجاح إلا حين تساعد الناس على تحقيق أحد هذين الهدفين. وطبقاً لمقاييس علم الاقتصاد، فإن السياسة التي لا تفعل شيئاً سوى تشجيع الناس على أن يعملوا أكثر وأن يموتوا أثرياء هي سياسة سيئة.

نحن نعيش في عصر ((خبراء دهاليز السياسات))، الذين يحكمون على نجاح أو فشل أي برنامج من خلال تأثيره على معدل الإنتاج وعلى جودة المنتج وعلى مقدار الجهد المبذول، وهؤلاء الخبراء يستخدمون مصطلحات علم الاقتصاد دون مضمونه في تحليلهم لتلك البرامج.





## شهادات اقتصادية ( ١٥ )

### العنوان : اقتصادنا لو كان استهلاكنا أقل

الرسالة : لقد أصبح شراء الأشياء برهاناً على الاحترام الذاتي،  
ووسيلة للقبول الاجتماعي

إن كبح الذات سوف يكون قليل الأثر ما لم يقترن بخطوات جريئة في مواجهة القوى المشجعة على الاستهلاك إضافة إلى الدعوة المتكررة للإصلاحات البيئية والاجتماعية اللازمة لتحقيق أهداف متواصلة، مثل ترشيد أنظمة الطاقة، وموازنة النمو السكاني، وإنهاء الفقر ، كما يلزم اتخاذ إجراءات للحد من الإفراط في الإعلان، وكبح ثقافة التسوق، وإلغاء السياسات التي تدفع إلى الاستهلاك .  
إننا، يمكن أن نكون أكثر سعادة، لو كان استهلاكنا اقل.

إن هناك خمسة عوامل جديدة مميزة يبدو أنها تلعب دوراً في غرس الشهوات الجشعة في النفوس، وهي تأثير الضغوط الاجتماعية على المجتمعات البشرية والإعلانات، وثقافة التسوق والشراء، والسياسات المختلفة للحكومة، وتغلغل سوق الجملة في دنيا المنازل وفي الاعتماد الذاتي المحلي.

ولقد قيل إن القيمة الصافية تساوي القيمة الذاتية، بمعنى، أن قيمتك الحقيقية هي قيمة ما تملك من مال ،، وبناء على هذا التعريف يصبح الاستهلاك طاحوناً دواراً، حيث يقدر الناس حالتهم الاجتماعية بمدى غنى أو فقر كل واحد منهم.  
وتؤكد البيانات السيكولوجية الصادرة من دول عديدة ان الرضا المستمد من المال لا يتحقق من مجرد حيازته، وإنما يتحقق من امتلاك أموال أكثر من الآخرين، ومن امتلاكها في هذا العام أكثر من العام الماضي.

ولعل من الأمور الأكثر غرابة أن غالبية البيانات السيكولوجية توضح أن المقومات الرئيسة للسعادة في الحياة لا ترتبط بالاستهلاك على الإطلاق فمن ابرز هذه المقومات الرضا بالحياة الأسرية ثم الرضا بالعمل، ووقت الفراغ، والصدقات. وفي استقصاء شامل عن العلاقة بين الرخاء والرضا، لاحظ جوناثان فريدمان انه فوق مستوى الفقر، فان العلاقة بين الدخل والسعادة ضئيلة على نحو ملحوظ .



يقول الآن درنج لقد أصبح شراء الأشياء برهاناً على الاحترام الذاتي، ووسيلة للقبول الاجتماعي، أي علامة مميزة لما سماه الاقتصادي ثورشتاين فبلن اللياقة المالية.

ولقد وجد اخصائيو التسويق وسائل تتزايد دوماً لترويج سلعهم فالإعلانات تزداد بواسطة الكثير من محطات التلفزيون والإذاعة وعبر الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وهي تلصق على لوحات الإعلانات، وفي الملاعب الرياضية، وترسل حول الأرض من الأقمار الصناعية، وفي محطات مترو الأنفاق، وعلى شاشات فيديو بعرض الحائط في الأسواق التجارية، والإعلانات تدلف إلى حجرات الدراسة وعيادات الأطباء والمواقع الإلكترونية، وتوضع على لوحات المباريات الرياضية. لقد أصبح الإعلان واحداً من أسرع الصناعات نمواً، كذلك فقد أدى تكاثر مراكز التسوق، بطريقة ملتوية، إلى تشجيع الإقبال على الشراء وكثير من النقاد يعتقدون أن تصميم ساحات المحلات التجارية، في حد ذاته، يشجع على التهور الاقتنائي.

إن الأهداف الاقتصادية الوطنية تبنى صراحة على أن الأكثر هو الأفضل وعلى سبيل المثال تشير الإحصائيات الوطنية إلى الناس بوصفهم مستهلكين لا مواطنين في أغلب الأحوال ولما كانت السياسة الاقتصادية تبنى على نظام الاقتصاديات الحديث فإنها تعتبر الاستهلاك المفرط والمحموم بمثابة نمو صحي. وجدير بالذكر القول بأن صناعة الإعلان تعتبر عدواً لدوداً للبشر فهي تتغلغل في كل أرجاء العالم، ولكنها تكون قابلة للانتقاد حينما تلح على سلع تعرض الحياة الإنسانية للخطر.

والخلاصة، فإن الذي يميز العادات الاستهلاكية الحديثة من تلك التي كانت سائدة في عصور سابقة، هي أننا أكثر ثراءً من أسلافنا، وبالتالي فإن لنا تأثيرات أكثر تدميراً للبيئة، وليس من شك في وجود قدر كبير من الحقيقة في تلك النظرة، إلا أن هناك أيضاً سبباً في الاعتقاد بوجود قوى معينة في العالم الحديث هي التي تشجع الناس على التصرف إزاء رغباتهم الاستهلاكية تصرفاً كان نادر الحدوث من قبل.



## شهادات اقتصادية ( ١٦ )

### العنوان : الاقتصاد المريض

الرسالة : إن الاقتصاد الحديث يعاني من أزمة كبرى، ذلك لأن واضعيه قد فكروا بأن الربح وحده كاف لتحقيق سعادة الإنسان

إن الاقتصاد الحديث يعاني من أزمة كبرى، ذلك لأن واضعيه قد فكروا بأن الربح وحده كاف لتحقيق سعادة الإنسان وتحرير شخصيته وإطلاق طاقاته، فراحوا يحتقرون كل ما لا يشكّل في نظرهم البشري القاصر دخلاً مادياً مباشراً. فكانت النتيجة مخيبة للأمال؛ لأن الأرباح المباشرة لم تعد تغطي أبداً الخسائر غير المباشرة؛ لذلك يطرح المفكرون الجدد أساساً جديدة لإعادة بناء التنمية الاقتصادية على توازنات اجتماعية واقتصادية أكثر شمولية وأقل كلفة؛ لعلها تخلص الاقتصاد وتنقذ المجتمع من ويلات الأزمة الراهنة!!

لم يعد من الممكن بناء العمل على أساس الربحية هذه الصيحة التي هي أيضاً بمثابة إنذار، أطلقها عدد ما فتئ يتزايد باستمرار من الشباب أمام الآثار الدرامية التي خلفها على الصعيد الاجتماعي والإنساني التصنيع القسري والمدننة اللذان يعيثان فساداً في الأرض منذ ما يقرب من عشرين عاماً.

ومع ذلك فإن أحداً لم يستطع حتى الآن في ظل أي نظام مطبّق - حتى ولو كان ذلك أحياناً للأجل الطويل - أن يفلت من مقياس الربحية. والحقيقة، أنه حتى لو بدت هذه الصرخة في أول الأمر منافية للاقتصاد، إلا أن هؤلاء الشباب محقون ومحقون أكثر من الناحية الاقتصادية نفسها. وهم محقون؛ لأنه ليست هناك فعالية مستمرة، وإذا فالربحية الحقيقية عندما يكون الإنسان شقيّاً غير سعيد، وعندما لا تتفتح شخصيته في الوسط الذي يعيش فيه.

وهذا بالطبع ردة فعل دفاعية حيال شروط حياتية معينة. ومن أجل تقويم اقتصادي لهذه المشكلة الخطيرة الاجتماعية والإنسانية التي تطبع عالمنا الصناعي ينبغي أن نتذكر أن الربحية المزعومة التي سوغت جميع البرامج الاقتصادية أو الصناعية أو العقارية أو الزراعية، هذه الربحية الظاهرة لم تكن إلا قصيرة الأجل وجزئية.



واليوم ينبغي تغيير الأساليب في إدارة الاقتصاد واعتزام الأخذ بالاعتبار في الحسابات الاقتصادية العناصر المساهمة في ظروف حياة الإنسان وتفتحه، وهذه طريقة جديدة في التفكير وأساليب جديدة للعمل.

ومن المفيد أن نتذكر اليوم أن النهضة العجيبة للصناعة قد غذّأها الأمل الذي وضعه فيها الإنسان بأن تحمل إليه التحرُّر من الجهد الجسمي، ومن صعوبة العيش، وبهذا أصبحت رمزاً لتحسن الوضع الإنساني.

وهكذا، فإن ما يدعي بصورة شائعة (ربحية) ليس إلا نتيجة حساب اقتصادي فاسد والإصلاح الوحيد الذي يستحق إجراؤه يقوم على إزالة الفساد من آلية اقتصادية أفرزت المضاربة بالمعنى الاقتصادي.

إن الاقتصاد اليوم مريض ومرضه أنه يسيء ما كان ينبغي عليه من الحفاظ على التوازنات الرئيسية، ولن يمكنه استعادة عافيته إلا بعلاج بيئي للملفات الكبرى، مثل: ملف البطالة.

إن علم البيئة ينبغي تباغاً لما سبق أن يدعم الاقتصاد.

فلا عجب إذا إن صرَّح أكثر من اقتصادي من أنه ليس هناك اليوم إلا الاقتصاد، فهو قادر بطريقته الإجمالية الشاملة على مواجهة المشكلات، وتهيئة ظروف العودة إلى التوازنات الاجتماعية والاقتصادية الكبرى؛ بشرط تصحيح الأخطاء وتقويم الأهداف، وتحديد الغايات وتهذيب الربحية؛ من أجل اقتصاد مفهوم.



## شهادات اقتصادية ( ١٧ )

### العنوان : الاقتصاد العجيب

الرسالة : إن العالم الحديث، على الرغم من شدة الغموض والتعقيد والخداع، ممكن اختراقه ومعرفته ممكنة.

إن الاقتصاد، كما يراه ليفيت في كتابه الاقتصاد العجيب، علم ذو أدوات ممتازة للحصول على إجابات. وقد لا يعترف كثير من الناس، بمن فيهم عدد من زملائه، بأن عمل ليفيت هو عمل في علم الاقتصاد مطلقاً. لكنه قام بتقدير ما يسمى بالعلم الكئيب للوصول إلى هدفه الأولي: وهو تفسير الكيفية التي يحصل بها الناس على ما يريدون. وخلافاً لمعظم الأكاديميين، إنه لا يخشى استخدام الملاحظات الشخصية أو الفضول الشخصي، ولا يخشى القصص وسردها أيضاً، لكنه يخشى التفاضل والتكامل. إنه شخص حدسي.

لقد ثبت أن فضول ليفيت الحاد جذاب بالنسبة لآلاف من قراء مجلة نيويورك تايمز. والذي جعل الجميع يستجيبون له هو قوة اعتقاد ليفيت الخفي: أن العالم الحديث، على الرغم من شدة الغموض والتعقيد والخداع، ممكن اختراقه ومعرفته ممكنة.

إن هدف كتاب ليفيت هو استكشاف الجانب الخفي من كل شيء، وقد يكون هذا عملاً مثبطاً أحياناً. وقد تشعر أحياناً وكأننا ننظر إلى العالم من خلال ثقب صغير جداً. ولكن الفكرة هي أن ننظر إلى أحوال عديدة ومتباينة ونفحصها بطريقة يندر أنها قد فحصت بها من قبل.

يقول ليفيت: لقد فكرت في إعداد كتاب يدور حول موضوع واحد النظرية والممارسة للاقتصاد التطبيقي الصغير. لكنني فضلت عوضاً عن ذلك طريقة البحث عن كنز. نعم، تستخدم هذه الطريقة أفضل أدوات التحليل التي يمكن أن يقدمها علم الاقتصاد، لكنها تسمح لنا باتباع أي فضول عجيب قد يحدث معنا.

وهكذا، إن ميدان الكتاب الذي اختراه المؤلف: الاقتصاد العجيب. إن القصص التي يرويها هذا الكتاب لم تشمل عليها مادة الاقتصاد ١٠١. ولكن هذا قد يتغير. وحيث إن علم الاقتصاد أولاً مجموعة أدوات، بمقابته مع الموضوع، فإنه ما من موضوع، مهما كان صعباً، ينبغي أن يكون بعيداً إلى درجة بعيدة المنال.



يقول ليفيت: ليس في هذا الكتاب موضوع موحد فعلاً. ولكن إن لم يكن هناك موضوع موحد للاقتصاد العجيب، فهناك على الأقل خيط مشترك يسير خلال التطبيق اليومي للاقتصاد العجيب. فعليه أن يتعامل مع التفكير المعقول حول الكيفية التي يتصرف بها الناس في العالم الحقيقي. وكل ما يحتاجه هو طريقة جديدة بالنظر والتمييز والقياس. وهذه ليست مهمة صعبة بالضرورة، ولا تتطلب تفكيراً متحذلقاً عالياً.

حقيقة الأمر هي أن التفكير بأسلوب الاقتصاد العجيب لا يتعامل بالأخلاق. فإذا كانت الأخلاق تمثل العالم المثالي، فإن الاقتصاد يمثل العالم الحقيقي. والنتيجة المحتملة بعد قراءة هذا الكتاب هي نتيجة بسيطة: فقد تجد نفسك تسأل أسئلة كثيرة. وكثير من هذه الأسئلة سيؤدي إلى لا شيء. ولكن بعضها سيأتي بإجابات مثيرة للاهتمام بل ومدهشة.



## شهادات اقتصادية ( ١٨ )

### العنوان : الاقتصاد الخلاق

الرسالة : إنَّ الإبداع هو الذي سيقود التغيير الاجتماعي والاقتصادي خلال هذا القرن

لقد قيل : إنَّ الإبداع هو الذي سيقود التغيير الاجتماعي والاقتصادي خلال هذا القرن.

لذا، يرى جون هوكنز مؤلف كتاب الاقتصاد الخلاق، أنَّ التفكير في مجتمع المعلومات غير كاف على الإطلاق، ويرى أن عصر المعلومات بدأ بالفعل يفسح الطريق أمام شيء أكثر تحدياً.

يقول هوكنز: لو كنت معلومة بسيطة لفاخرت بالعيش في مجتمع معلومات. لكن بوصفي كائناً مفكراً ومبدعاً، فأنا أتطلع إلى شيء أفضل.

إننا نحتاج إلى المعلومات، لكننا نحتاج أيضاً إلى أن نكون نشطين ومهرة ومثابرين لاختبار هذه المعلومات، نحتاج إلى أن نكون أصلاء في تفكيرنا بكلمة واحدة أن نكون مبدعين.

لقد أصبحت الصناعات الإبداعية عنصراً مهماً في تكوين الاقتصادات المتقدمة. ففي عام واحد قُدِّر صافي عائدات صناعات حقوق النشر الأمريكية بـ ٧٩٠ بليون دولار، وهو ما يعادل ٨% من إجمالي الناتج القومي الإجمالي وهذا يفوق إسهام الصناعات الكيماوية والسيارات والطائرات وقطاع الزراعة. وفي بريطانيا قُدِّرت عائدات الصناعات الإبداعية في عام واحد بـ ١١٣ بليون جنيه استرليني، شكَّلت ٥% من الناتج القومي الإجمالي.

وبالإضافة إلى النسب المئوية والنمو، تعود أهمية الصناعات الإبداعية إلى دورها المتوقع كموجه للمعرفة الاقتصادية وميسر للصناعات والخدمات الأخرى، عبر تزويدها، على سبيل المثال، بالمحتوى الرقمي الذي يُترجم مباشرة إلى ميزة تنافسية و طاقة إبداع لقطاعات الاقتصاد الأخرى، وكذلك عبر احتضان رأس المال الإبداعي والعاملين الإبداعيين عموماً.



ومن هنا يرى جون هارتلي أنّ أثر الصناعات الإبداعية لا يقف عند حد اجتذاب أساتذة وعلماء تميّزوا فيما سبق بضعف أنشطتهم الاستثمارية وبالعديد من أشكال التبعية الاجتماعية. فهي تضم نسبة كبيرة من المشروعات الصغيرة والمتوسطة إلى جانب بعض من أكبر الماركات العالمية. إنّ الصناعات الإبداعية ليست مجرد شبّان طامحين وشركات رأسمالية عملاقة. إنها بحاجة إلى مزيج جديد من الشراكة العامة والخاصة. وفي سياق كهذا، لا تقتصر قيمة الصناعات الإبداعية على النشاط الاقتصادي وإنما تمتد كذلك إلى أرقى أشكال التنمية في العالم.





## شهادات اقتصادية ( ١٩ )

### العنوان : اقتصاد القيمة المضافة

الرسالة : إن معايير التنافس الاقتصادي بين المدن التي تبنت هذا الاقتصاد تعتمد على قدرتها على جذب المبدعين

لقد جرت مناقشات مكثفة في العشرين عاماً الأخيرة حول أهمية إدارة المعرفة في عالم الأعمال. واليوم، تعد المعرفة أحد أهم المرتكزات لأي مشروع اقتصادي، والتي يجب إدارتها بفاعلية وكفاءة للحصول على ميزة تنافسية في حقبة اقتصاد المعرفة. وقد تحولت إدارة المعرفة إلى أسلوب إدارة استراتيجي، لتجد طريقها في عدة تطبيقات بخلاف عالم الأعمال مثل التعليم، والحكومة، والرعاية الصحية. وقد جرى تبني هذا الطرح من قبل معظم الهيئات الدولية الكبرى – كالمفوضية الأوروبية، والبنك الدولي، والأمم المتحدة ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية – كإطار حاكم للتوجهات الاستراتيجية المتعلقة بالتنمية على الصعيد الدولي، ما يعد دليلاً واضحاً على وجود علاقة ناشئة بين إدارة المعرفة والتنمية القائمة على المعرفة.

وقد أوجدت هذه العلاقة الجديدة البيئة المناسبة لظهور مفهوم ((مدينة المعرفة))، الذي يعد هذه الأيام ذا أهمية كبيرة ومادة ثرية للمناقشة. وبالفعل فقد أعلنت عدد من المدن على مستوى العالم نفسها مدناً للمعرفة، في الوقت الذي بدأت فيه مدن أخرى تطوير مخططات استراتيجية وتنفيذية لكي تصبح مدناً للمعرفة في المستقبل القريب.

وكما حدث في بدايات ظهور مفهوم إدارة المعرفة فلا يوجد هناك إطار واضح أو منهجية موحدة للتصميم والتنفيذ يمكن من خلالها أن تتحول المدن القائمة إلى مدن معرفة ناجحة، حيث ما يزال النجاح الحقيقي لهذه المدن قيداً للدراسة في الأوساط البحثية. وبالتالي، فإن تحديد الخصائص التي يجب أن تتوفر في مدن المعرفة الناجحة على أرض الواقع أصبح حتمياً.

في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، حدثت تغيرات كبيرة في بنية الاقتصاديات العالمية. وتتعلق هذه التغيرات في الأساس بالطريقة التي يصنع الاقتصاد من خلالها القيمة المضافة، وذلك كما هي الحال فيما يسمى بالاقتصاد القائم على المعرفة. ويعمل هذا الاقتصاد بالتوازي مع الاقتصاد التقليدي، كما يتداخل معه مباشرة في كثير من الأحوال.



ويسمح هذا الاقتصاد المعرفي بالتجديد والابتكار المستمرين في المنتجات وأسلوب تقديم الخدمات. وقد أفرز هذا الاقتصاد هياكل مؤسسية جديدة تعزز عملية تقاسم رأس المال البشري. وعموماً، فإن أهم ما يميز اقتصادنا المعرفي اليوم هو تسريع وتكثيف عمليات إنتاج واستخدام ونشر المعارف والتقنيات الجديدة.

وقد كتب آلان لابوانت من مدرسة الاقتصاد في جامعة مونتريال أن ((الاقتصاد الجديد يتميز بتسارع الاتجاهات التي دفعتنا نحو تحويل أنماط الإنتاج والإدارة)). ويعقب لابوانت بأن هذا الاقتصاد المعرفي يعتبر جزءاً من التطور التاريخي. وفي هذا السياق، أطلقت مدن عدة حول العالم مبادرات مثيرة للجدل، وجهوداً مشتركة واستراتيجيات محددة استهدفت تحسين مواقفها التنافسية على المستوى الوطني والقاري والعالمي من منظور معرفي.

ويرى ريتشارد فلوريدا أن معايير التنافس الاقتصادي بين المدن التي تبنت هذا الاقتصاد الجديد تعتمد على قدرتها على جذب المبدعين والموهوبين، وكذا الاحتفاظ بهم وصهرهم في بوتقاتها. وكنتيجة لذلك، فإن المدن المعرفية تتنافس في ثلاثة مجالات أساسية هي:

١. جودة الثقافة المحلية .
٢. حجم وكثافة سوق العمل .
٣. وجود مرافق وأماكن جذب محلية لها قيمة عالية بالنسبة إلى العاملين في مجال المعرفة .

ويعد الاستثمار في التقنية المتطورة والبنية التحتية التقليدية وكذا الاستثمار الاستراتيجي في الثقافة في إطارها العام أهم ملامح الاتجاه المبدئي التي يجب أن تمضي فيه المدن في حقبة المعرفة. وتختلف كل مدينة في هذا الصدد من حيث الاستثمارات وطرق التنفيذ.



## شهادات اقتصادية ( ٢٠ )

### العنوان : اقتصاد الخبرة

الرسالة : لقد اهتمت بعض الصناعات الثقيلة بأنظمة الخبرة

يتوقع العلماء أن يبدأ الذكاء الاصطناعي الحقيقي بالانتشار في شبكة الانترنت بعد العام ٢٠٢٠. إن الخطوة التالية بعد الوطاء الأذكاء، هي نوع من الذكاء الاصطناعي يدعى أسلوب اكتساب الخبرة بالمحاولة والخطأ، الذي يحاول أن يرمز المنطق والذكاء بمجموعة من القواعد.

ويمكننا هذا الأسلوب بصورته المثالية من التكلم مع طبيب أو محام أو فني حاسوب، يمكنه أن يجيب عن أسئلة فنية مفصلة حول التشخيص والعلاج. لقد اهتمت بعض الصناعات الثقيلة بأنظمة الخبرة، لأنه من الممكن استخدامها بدلا من المهندسين والفنيين والكيميائيين، من ذوي الخبرة عند تقاعدهم.

في الثمانينيات كان لدى شركة جنرال إلكتريك مهندس واحد فقط يعرف كيف يصلح كل محركات القاطرات الكهربائية في الشركة، فلقد راكم هذا المهندس خلال عمره كمية ضخمة من المعرفة المفصلة حول الحالات الخاصة والشاذة لهذه القاطرات الضخمة، ولكنه مع ذلك كان يتقدم في السن، وكانت خبرته السرية - التي تعادل عشرات الملايين من الدولارات - ستضيع عندما يتقاعد، غير أن أجهزة الحاسوب ربما تمكنت حين نقلت خبرته إلى برنامج ذكاء اصطناعي دعي دلتا من تشخيص حوالي ٨٠% من الأعطال.

ومنذ عام ١٩٨٥ صرفت ١٥٠ شركة مبلغا هائلا قدره بليون دولار على الذكاء الاصطناعي، وبشكل رئيس على الأنظمة الخبيرة.

ولكن المشكلة في هذه الأنظمة هي أنها تفتقر إلى القدرة على التمييز أو الإدراك السليم. ويمكن اختصار سبب انهيار أنظمة الخبرة في السوق التجارية بعبارة واحدة شائعة ((من الأسهل أن تحاكي عالم جيولوجيا من أن تحاكي طفلا في الخامسة من عمره))، أي أن النظام الخبير يمكنه معالجة الحقائق اللازمة لعمل الجيولوجيا بشكل جيد، ولكنه لا يستطيع محاكاة الإدراك السليم والتمييز لطفل في الخامسة فقط من عمره.



إن المشكلة في أجهزة الحاسوب هي أنها في الوقت الحالي من دون ملحقاتها الغامضة والمدهشة، ليست أكثر من آلات جمع رائعة أو ((حكماء بلهاء))، وبينما يمكن تعديل آلات الجمع هذه لتصبح معالجة للنصوص فإنها في صميمها لا تزال آلات جمع.

فهي تستطيع التعامل مع كميات هائلة من البيانات بسرعة أكثر بملايين المرات من سرعة الإنسان، إلا أنها لا تفهم ما تفعله، وليس لديها أي تفكير مستقل، ولا تستطيع برمجة نفسها أيضا.

إن إحدى المشاكل الرئيسية للفترة من عام ٢٠٢٠ وحتى ٢٠٥٠ هي بناء أنظمة ذكية تتمتع بالإدراك السليم أو القدرة على التمييز، مثل هذا الإدراك موجود في أدمغتنا على مستوى اللاوعي، مثل جبل جليد مختف تحت الأمواج إلى حد أننا لا نجشم أنفسنا عناء التفكير في كيفية استخدامه في حياتنا اليومية. ولا يحتل تفكيرنا الواعي إلا جزءا صغيرا من مجمل تفكيرنا. فمعظم تفكيرنا إنما هو في الواقع تفكير لا واع، بما في ذلك تلك القدرة على التمييز.

ومن المفارقات أن أدمغتنا لم تتطور فيها الدوائر العصبية البسيطة جدا اللازمة لإجراء الحساب، فالقدرة على ضرب أعداد مؤلفة من خمسة أرقام، والذي يمكن لآلة حاسبة يدوية أن تقوم به من دون جهد، لم تكن مفيدة في الإفلات من نمر جائع حاد الأسنان منذ مئات الآلاف من السنين.

ومن العجيب أن الحساب لا يتطلب إلا قليلا من الدوائر العصبية، إلا أن عدم الحاجة إليه أثناء تطورنا لم يدفع إلى تطويرها لدينا أبدا. لقد تطورت أدمغتنا بدلا من ذلك إلى جهاز عقلي راق يمكننا من التمييز والإدراك السليم دون التفكير به، مما مكننا من البقاء على قيد الحياة وسط عالم معاد. أما أنظمة الحاسوب فهي على النقيض من ذلك تماما، إنها أنظمة مدهشة في المنطق الرياضي المجرد، ولكنها عموما لا تفهم أبسط المبادئ في الفيزياء أو البيولوجية.



## شهادات اقتصادية ( ٢١ )

### العنوان : اقتصاد التحفيز

الرسالة : إن التحفيز أمر له أهميته، وتحتوي مؤلفات علم الاقتصاد العديد من الدراسات التجريبية التي ترسخ هذا الرأي

يتلخص الجزء الأعظم من علم الاقتصاد في جملة يسيرة، وهي أن ((الناس يستجيبون للتحفيز))، وما دون ذلك هو تعليق على هذه الجملة. ((الناس يستجيبون للتحفيز))، تبدو عبارة مقبولة وسوف يقر الجميع تقريباً بصلاحياتها كمبدأ عام. وما يميز عالم الاقتصاد عن غيره هو إصراره على أخذ هذا المبدأ على محمل الجد طوال الوقت.

إن إيمان علماء الاقتصاد بالتأثير القوي للتحفيز يقدم لهم الكثير، فهم يعتمدون عليه كمرشد في المجالات المجهولة لهم. في عام ١٩٦٥، نشر رالف نادر كتاباً يلفت انتباه القارئ إلى عدة أمور في تصميم السيارات تزيد خطورة القيادة عن الحد المقبول، واستجابت الحكومة الفيدرالية سريعاً بإصدار عدة تشريعات لتحقيق القيادة الآمنة، ومنها إلزام مصانع السيارات بتركيب حزام الأمان، واستخدام عجلات القيادة المتحركة ونظام الكوابح الثنائية، وزجاج الأمان الأمامي المقوى.

وقبل أن يبدأ تفعيل هذه القوانين، كان بإمكان أي عالم اقتصاد التنبؤ بإحدى النتائج المترتبة عليها، وهي زيادة عدد حوادث السيارات، والسبب في ذلك أن الخوف من الموت في حادث سيارة يمثل حافزاً قوياً للقيادة الآمنة، في حين أن القائد الذي يضع حزام الأمان لا يخشى هذا الخطر بنفس الدرجة. ولأن الناس تستجيب للتحفيز، فإن قيادتهم تصبح أقل حذراً ومن ثم يرتفع عدد الحوادث.

إن المبدأ المطبق هنا هو المبدأ ذاته الذي تنبأ باختفاء طوابير البنزين، فعندما ينخفض سعر البنزين، يزداد إقبال الناس عليه، كذلك فعندما ينخفض سعر حادث السيارة (ويقصد بذلك احتمالات الوفاة أو القيمة المتوقعة للفواتير الطبية)، تزداد نسبة وقوع حوادث السيارات.

بعد هذا الاستطراد عن التحديات التي تواجه البحث التجريبي، أعود إلى الموضوع الأساس وهو: قوة التحفيز. إن طبيعة عالم الاقتصاد أن يفسر هذه القوة، هل تقلل السيارات الموفرة للطاقة استهلاكنا من البنزين؟ ليس بالضرورة، فهذه السيارات إنما تقلل ثمن القيادة، فيختار الناس الإكثار من القيادة.



في عام ١٩٨٣، قام البروفيسور إدوارد ليمر من جامعة كاليفورنيا بولاية لوس أنجيلوس، بنشر مقالة طريفة بعنوان: ((لنبعد الأهواء عن الاقتصاد القياسي))، حذر فيها من أن التحيزات المسبقة للباحث قد تؤثر بشدة فيما يتوصل إليه من نتائج. استخدم ليمر عقوبة الإعدام كمثال .

إن التحفيز أمر له أهميته، وتحوي مؤلفات علم الاقتصاد عشرات الآلاف من الدراسات التجريبية التي ترسخ هذا الرأي، ولا توجد دراسة واحدة تجعلنا ننفده بطريقة مقنعة، وعلماء الاقتصاد دائماً يختبرون هذه المقولة (في حين أنهم ربما يتمنون سراً لو يكونون أول من يثبت عدم صحتها ليجنوا لأنفسهم الشهرة بذلك)، ويعملون دائماً على توسيع مجال تطبيقها.

وفيما كنا سابقاً لا ن فكر إلا في استجابة المشتري لأسعار اللحوم، فقد أصبحنا الآن ن فكر في استجابة سائق السيارة لحزام الأمان، واستجابة القاتل لعقوبة الإعدام. وقد درس علماء الاقتصاد الأسس التي يعتمد عليها الناس في اختيار شريك الحياة، أو تحديد حجم الأسرة (وبالغ بعض الباحثين في الاهتمام بهذا الاتجاه لدرجة أن جريدة جورنال أوف بوليتيكال إكونومي نشرت مقالة ساخرة حول اقتصاديات تنظيف الأسنان، و((قَدَّرت)) هذه المقالة أن الناس يقضون نصف ساعات يقظتهم بالكامل في تنظيف أسنانهم، وقد تباهى مؤلف هذه المقالة بأنه ((ما من نموذج اجتماعي يستطيع الوصول إلى مثل هذه النتائج الدقيقة))، ومع كل هذه التغيرات، هناك شيء واحد ثابت، ألا وهو، قوة التحفيز.



## شهادات اقتصادية ( ٢٢ )

### العنوان : اقتصاد المعرفة

الرسالة : لقد أصبحت المعرفة قوة دافعة ومحركاً أولياً للاقتصاد الحديث

لقد أصبحت المعرفة قوة دافعة ومحركاً أولياً للاقتصاد الحديث؛ فهي أهم وسائل زيادة إنتاجية عمالة المصانع والمكاتب والحقول والفصول، ومصدر محتوى الرسائل المتبادلة عبر شبكات المعلومات، والمقوم الرئيس للبرمجيات التي تعالج هذا المحتوى، وهناك العديد من الشواهد على مدى الأهمية الاقتصادية لمورد المعرفة، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الدول أو العالم بأسره. فعلى مستوى الأفراد، قد زاد ثقل العمالة الذهنية، وتعاضم سطوة الرأسماليين الذهنيين الجدد صنيعاً اقتصاد المعرفة، ويكفي سندا لهذا أن ثلاثة من أغنى أغنياء العالم العشرين بنوا ثروتهم من صناعة البرمجيات.

وعلى مستوى المؤسسات فقد تضخم العائد الاستثماري ويكفي أن يذكر أن إجمالي القيمة الرأسمالية لخمس شركات تعمل في مجال تقنية المعلومات والاتصالات قد تضاعف ما يقرب من ٦٠ ضعفاً خلال عشر سنوات من ١٢ بليون دولار عام ١٩٨٧م إلى ٧٠٠ بليون دولار عام ١٩٩٧م. أما على مستوى اقتصاد الدول، فقد ازدادت مساهمة عائد قطاع المعلومات في الناتج المحلي الإجمالي. وعلى مستوى العالم، فقد نما الإنفاق العالمي على تقنية المعلومات والاتصالات وفقاً لتقرير التنمية الإنسانية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي من ٢,٢ تريليون دولار عام ١٩٩٩م إلى ٣ تريليونات دولار عام ٢٠٠٣م. في عالم اليوم، يضطر الكثيرون إلى أن يُسلموا بأنَّ الفتوحات التقنية الجديدة المهمة قد غيرت مؤقتاً التقنيات المستخدمة للاتصالات في تنمية الموارد البشرية. ذلك أنَّ التقنيات التي تعمل بالانترنت وترتبط معاً، والتي تمثل الانترنت فيها الشكل الملحوظ بدرجة أكبر على الملأ، تقوم الآن بقلب العالم رأساً على عقب. وكلما تضاربت تقنيات المعلوماتية والوسائط الإعلامية والاتصالات أدركنا أنَّ عالمنا تعاد صياغته من جديد.

ومن ثم، تتمثل ميزة الاتصالات المدارة بالانترنت والبرمجيات التقنية الحديثة في أنَّ تكلفة المعاملات لمثل هذا النشاط تنخفض إلى الصفر تقريباً، عندما يزيد مدى وسرعة تقنيات الاتصالات زيادة أسية وعندما تصبح الأدوات أقوى.



ومن وجهة نظر أخرى، تلعب الانترنت دوراً رئيساً في اقتصاد المعرفة خاصة فيما يتعلق بالمنتجات الرقمية التي يمكن توزيعها عبر الشبكة، كالبرمجيات والكتب والخدمات المصرفية والخدمات السياحية والخدمات التعليمية وما شابه، ومن أبرز المؤشرات على الأهمية الاقتصادية للانترنت أنها ولدت في الولايات المتحدة ما يزيد على 3 ملايين فرصة عمل، بما يوازي ضعف عمالة صناعة العقارات.

لقد غيرت الانترنت بصورة جذرية من أسلوب عمل المؤسسات الاقتصادية، واستحدثت نماذج جديدة للقيام بنشاط الأعمال، وهكذا امتزج اقتصاد المعرفة الذي يمثل - بصورة تقريبية - اقتصاد الانترنت الذي يمثل في هذه المنظومة الاقتصادية الجديدة - وبصورة تقريبية - عنصر التوزيع القائم على شق الاتصالات.

جاء في كتاب ((الفجوة الرقمية)) لمؤلفيه د. نبيل علي ونادية حجازي: بصورة عامة يمكن القول إن العناصر المادية في الاقتصاد بدأت تختفي تماماً فالأموال - على سبيل المثال - قد تمّ تحويلها من العملة الورقية إلى غطاء الذهب، حتى وصل الأمر في نهاية المطاف إلى تحويل الأموال إلكترونياً لتصبح مجرد إشارات رمزية تسوّى من خلال غرفة المقاصة.





## شهادات اقتصادية ( ٢٣ )

### العنوان : اقتصاد الثروة

الرسالة : تكمن فائدة الثروة في الأمور التي تهئ لنا إمكان إنجازها

من المؤلف أن يناقش زوجان إمكان زيادة دخلهما، ولكن أن تدور محادثة في هذا الشأن في حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، فهذا أمرٌ يثير بوجه خاص، كما يقول أمارتيا سن في كتابه ((التنمية حرية))، قدراً من الاهتمام، وإنها لمحادثة غريبة روتها نصوص سنسكريتية.

والقصة أن امرأة تُدعى ميتريبي وزوجها ياجنا فاليكا انتقلا في محادثتهما سريعاً إلى مسألة أكبر من مجرد وسائل المرء لكي يصبح ثرياً: إلى أي مدى يمكن للثروة أن تساعدكما في الحصول على ما يريدانه.

وتساءلت ميتريبي في دهشة عما إذا كانت الغاية تتحقق حين تمتلك أقطار كوكب الأرض وكل الثروات؟! هل تستطيع بذلك أن تحصل على الخلود؟ أجاب الزوج: لا. فإن حياتك هنا شأن حياة الأثرياء، وقالت الزوجة: إذن لا أمل في الخلود بفضل الثراء. إذن ماذا عليّ أن أفعل بهذا الذي لا يمنحني الخلود؟!.

يقول أمارتيا سن - الحائز على جائزة نوبل للعلوم الاقتصادية عام ١٩٩٨م - روت الفلسفة الدينية الهندية سؤال ميتريبي البليغ مرات ومرات لتوضيح طبيعة المأزق البشري وحدود العالم المادي.

وثمة جانب آخر لهذا التبادل يحظى باهتمام خاص ومباشر في نظر الاقتصاد ولفهم طبيعة التنمية ويتعلق هذا الجانب بالعلاقة بين الدخل والإنجازات، بين السلع والقدرات، بين ثروتنا الاقتصادية وقدرتنا على أن نحيا كما نشاء أن تكون الحياة.

ومع إقرارنا بوجود رابطة بين الوفرة والإنجازات فإن الرابطة يمكن ولا يمكن أن تكون قوية جداً، وأن تكون متوقفة على ملابسات أخرى.

ليست المسألة القدرة على الحياة إلى الأبد، كما شاءت الزوجة أن تحدد بؤرة اهتمامها، بل القدرة على الحياة حياة طويلة حقيقية، دون حرمان من زهرة العمر، وتوفير حياة طيبة جيدة مادام المرء على قيد الحياة، بدلاً من حياة البؤس وافتقاد الحرية.



هذه أمور ننظر إليها جميعاً بعين التقدير كقيمة وأمل ننشده، وإن الهوة بين المنظورين أي بين التركيز فقط على الثروة الاقتصادية والاهتمام الواسع النطاق بالحياة التي يمكن أن نعيشها ونسعى إليها، تمثل مسألة رئيسية تبدأ منذ كتاب أرسطو ((أخلاق نيقوماخوس))، التي نجد فيها صدى لحوار الزوجين الهنديين الذي جرى على بعد ثلاثة آلاف ميل. إذ نقراً ((الثروة كما هو واضح ليست الخير الذي ننشده، ذلك لأنها مجرد أداة نافعة للحصول على شيء آخر)).

وإذا كانت لدينا أسباب للتماس المزيد من الثروة، فإن علينا أن نسأل: ما هي بالتحديد هذه الأسباب، كيف تحقق الهدف، وما الشروط التي ترتبها، وما الأشياء التي نستطيع أن نؤديها بهذا المزيد من الثروة؟! والحقيقة أن لدينا جميعاً بوجه عام، أسباباً ممتازة لطلب المزيد من الدخل والثروة. وليس السبب هو أن الدخل والثروة مرغوبان لذاتهما، بل بالتحديد لأنهما وسيلتان هادفتان جديرتان بالإعجاب، من أجل تحقيق المزيد من الحرية، لكي نبني نوع الحياة الذي نبرره عقلياً لما له من قيمة.

وتكمن فائدة الثروة في الأمور التي تهيئ لنا الثروة إمكان إنجازها. أي ما تساعدنا الحريات الموضوعية على إنجازها. بيد أن هذه العلاقة ليست حصرية، حيث توجد مؤثرات أخرى غير الثروة تؤثر في حياتنا، ولا هي مطردة، حيث إن أثر الثروة في حياتنا يتباين بتباين المؤثرات. لذلك من المهم الإقرار بالدور الحاسم للثروة في تحديد ظروف المعيشة ونوع الحياة. مثلما أن من المهم أيضاً فهم الطبيعة المشروطة والمحددة لهذه العلاقة. لذلك فإن المفهوم الملائم للتنمية ينبغي أن يتجاوز كثيراً حدود تراكم الثروة وزيادة مجمل الناتج الوطني والمتغيرات الأخرى ذات العلاقة بالدخل. إننا ينبغي أن ننظر إلى ما هو أبعد من النمو الاقتصادي، ولكن دون إغفال لأهميته.



## شهادات اقتصادية ( ٢٤ )

### العنوان : اقتصاد مجتمع الاستهلاك

الرسالة : لقد أغرق السلوك الاستهلاكي الانسان في طوفان من المشاكل

لقد أغرق السلوك الاستهلاكي المكثف الانسان في طوفان من المشاكل المتعلقة بتلوث البيئة واستنزاف الموارد والإسراف والتبذير وتبديد المنتجات وانتشار الجرائم والمخدرات، وشيوع المجتمع الاستهلاكي، والإعلام الاستهلاكي. ومالم يأخذ الانسان حذره فقد يغرقه هذا السلوك في طوفان حقيقي أكبر. إن أكثر ما يشغل تفكير العقلية الاستهلاكية هو توفير الاحتياجات المادية، واقتناء كل ما يستجد عرضه في الاسواق، وعلى صفحات الاعلانات والدعايات التجارية في وسائل الاعلام المختلفة.

إن فيروس الاستهلاك الجائر وراء أخطر الأمراض الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والفكرية التي تعرضت لها كثير من المجتمعات.

ومن أبرز أوجه السلبيات التي تتعرض لها الامم والحضارات، هو استئراء داء الاستهلاك الجائر في نفوس أبنائها، إذ ينمي هذا الاستهلاك في الانسان الترهل، ويبعده عن القيم الفاضلة ففي الوقت الذي تنعم فيه بعض الشرائح الاجتماعية بكل مالد وطاب، وتقوم برمي أطنان من الأطعمة في سلات القمامة، هناك ملايين البشر تتعرض لسوء التغذية والمجاعة والموت.

إن مشاكل التلوث البيئي في هذا العصر، أحد أسبابه المهمة هو الاستهلاك الشره للموارد والمنتجات، تقول بعض الاحصاءات إن معدلات الاستهلاك العالية هي السبب الأكبر في إلحاق الأذى بالبيئة، وأن من العوامل التي تمثل نمطاً حياتياً يؤذي البيئة: السيارات، والبيوت الضخمة، ومراكز التسوق الكبرى والسلع الاستهلاكية والغذاء غير الصحي.

ولذا، فإن الاستهلاك الشره سبب رئيس من أسباب تدهور البيئة واستنزاف مواردها، ونتيجته الرئيسية، إهلاك الحرث والنسل، وتدمير التوازن البيئي، وفي الواقع، فإنه ما من سلعة إلا ابتكر منتجوها وسائل للدعاية تغري المستهلك باقتنائها حتى أصبح الانسان الحديث ليس مجرد كائن استهلاكي بل هو أيضاً متخبط في هذا الاستهلاك، وأحياناً مخدوع فيه.



إن الكم الهائل من الاعلانات الدعائية هو أحد المقاييس الأمينة لنزعة الاستهلاك، التي أمت بالبشر في الزمن الحديث، إذ يلجأ المنتجون إلى كل وسيلة متاحة لحث البشر على زيادة الاستهلاك. ومن خلال دراسات وتحقيقات عديدة، تبين أن الاعلانات التجارية تمارس دوراً كبيراً في خداع المستهلك، ودفعه للشراء والمزيد منه. وتستند فاعلية الاعلان التجاري إلى حد بعيد على التفاوت في مستوى المعيشة الذي هو المحرك الأساس لمجتمع الاستهلاك، فالإنسان في مجتمع الاستهلاك يحس بفقره قياساً على ما يحظى به سواه. وفي المجتمع الحديث زاد الاستهلاك بشكل لم يكن معروفاً فيما سبق، كما نجمت عنه مجموعة من القيم والقواعد التي تنظم حياة المجتمع في ضوء زيادة الاستهلاك.

يقول دافيد ريسمان: إن الفرد المتهالك على الكسب بغية زيادة قدرته على الاستهلاك، لا يجد الوقت اللازم كي يتصل بالآخرين، كي يصغي إليهم، كي يشعر معهم، كي يتبادل وإياهم. ولذا، تنكر المجتمع الاستهلاكي الحديث لقيمة المشاركة بين الناس، إذ شغلهم بالسعي اللاهث وراء أشياء يمتلكونها ويتنافسون في التسابق إليها.

وهكذا ينشئ مجتمع الاستهلاك غربة بين الانسان وأخيه، تنتج شعوراً بالفراغ والقلق والعنف، يقول روجيه غارودي: في مجتمعات يُحرم فيها السواد الأعظم من الناس من التمتع بالمشاركة، يصبح العنف شريعة الأفراد والجماعات، إذ يوظف مجتمع الاستهلاك زخمه في سعي لاهث إلى امتلاك الأشياء واستهلاكها، موهماً الانسان بأن تراكم الأشياء لديه وتجدها المستمر كفيلان بأن يرويا غليل قلبه.

إذن، يفرز مجتمع الاستهلاك - كما يقول كوستي بندلي - يفرز العزلة والفراغ ويحكم على حياة الانسان بالعبثية والتفاهة، فاذا بالمرء فقير وسط خيراته المتركمة، جائع وسط تخمته، يستحوذ عليه السأم رغم تنوع الملاهي، يفتك به القلق، رغم كل الضمانات. ولم يخلُ مجتمع الاستهلاك من انتقادات عنيفة، مردها إلى نظرتة المادية إلى الاستهلاك وعدم وجود مثل خلقية وثقافية، لتنمية الفرد وقدرته، فهذا المجتمع يجعل من الفرد أداة للاستهلاك دون أن يجعل منه انساناً حقيقياً.

ويلاحظ أن جزءاً كبيراً من الدول تجاوزت مجتمع الاستهلاك والرخاء، ودخلت عصر مجتمعات التبذير، ولعل هذا ما دفع فانس باكارد الى أن يعنون أحد كتبه فن التبذير. ومنذ سنوات أطلق غالبريث في كتاب مهم عهد الرخاء، صرخة إنذار يحذر مواطنيه من عبادة الأدوات الآلية، ومن جنون الاستهلاك الحر، الذي يتحول إلى تبذير على حساب الاستثمارات.



## شهادات اقتصادية ( ٢٥ )

### العنوان : اقتصاد الديموغرافية

الرسالة : لقد حدث تطور دراماتيكي على معدلات الإنجاب في العالم

في الحقيقة، إن عدد السكان في عملاق العالم السكاني الحالي سيتقلص، وما الصين إلا مثال واحد على الانهيار الشامل في معدلات الإنجاب الذي يحدث عبر معظم بلدان العالم النامي، بما في ذلك الكثير من دول آسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط.

والاستثناء الواضح الوحيد هو أفريقيا جنوب الصحراء، التي ستصبح مع نهاية القرن موطناً لثالث الجنس البشري.

في مجتمع تنجب فيه المرأة ٢,١ طفل في المتوسط على مدى حياتها والذي يُدعى خصوبة ((مستوى الإحلال)) replacement level يبقى تعداد السكان ثابتاً، وعندما يقوم المختصون بعلم السكان بتعديلات بالغة الصغر على تخمينات معدلات الخصوبة المستقبلية، يمكن أن تتأرجح تقديرات تعداد السكان على نحو مفرط، فالسيناريوهات الجديرة بالتصديق للأربعين سنة المقبلة تظهر تناقصاً في تعداد سكان العالم إلى ٨ مليارات إنسان أو نمواً إلى ١٠,٥ مليار إنسان.

وهناك تقدير حديث للأمم المتحدة يفترض بدلاً من ذلك، وبشكل جريء، هبوطاً في معدل الخصوبة العالمية إلى ٢,٠٢ بحلول العام ٢٠٥٠، وفي النهاية إلى ١,٨٥، مع بدء تعداد سكان العالم بالتناقص مع حلول نهاية هذا القرن.

على الرغم من مجاهيلها المتعددة فإن التنبؤات الديموغرافية أصبحت أداة مهمة، إذ تعتمد الحكومات والوكالات الدولية والشركات الخاصة عليها في استراتيجية التخطيط، وفي القيام باستثمارات طويلة الأجل، فهي تسعى إلى تقدير أشياء من نوع عدد المتقاعدين، وتكاليف الرعاية الصحية، وحجم قوة العمل لسنوات عديدة في المستقبل.

لكن العمل الإحصائي التفصيلي، الذي يقوم به المختصون بعلم السكان، يميل لأن يتسرب للجمهور العام على نحو فجّ، وسرعان ما تصبح عناوين أخبار الإثارة هي الحكمة الشائعة.



يقول مارتن وولكر: لقد حدث تطور دراماتيكي على معدلات الإنجاب في العالم، ففي تحدّ لتنبؤات التراجع الديموغرافي، بدأ الأوروبيون الشماليون بإنجاب المزيد من الأطفال. وتتوقع كل من بريطانيا وفرنسا الآن نمواً سكانياً ثابتاً ينطلق بلا توقف حتى منتصف القرن، كما أن التوجهات في أمريكا الشمالية تشبه مثيلاتها الأوروبية. وبناءً على تقديرات الأمم المتحدة، يحتمل أن يتساوى عدد المواليد في أمريكا مع عدد المواليد في الصين بحلول العام ٢٠٥٠. ختاماً يمكن القول: لقد تغير العالم، وهناك تغير أكثر وأسرع قادم في الطريق.



## شهادات اقتصادية ( ٢٦ )

### العنوان : اقتصاد مجنون

الرسالة : إن الجوع يتواجد جنباً إلى جنب مع مخزون هائل من الأغذية

جاء في كتاب ( الاقتصاد المجنون ) قول كريس هارمن : إن قليلاً من الذين يؤيدون النظام العالمي القائم كانوا يتوقعون أن تتحسن الأمور وتتحسن أحوال الفقراء بالتوظيف الكامل، والإنفاق أكثر على الرعاية الاجتماعية وإعادة توزيع الدخل من الأغنياء إلى الفقراء، ولكنهم اليوم يقولون إن هذه الأفكار أصبحت موضة قديمة.

وبالطبع، فإن الفقر والمرض والجوع والألم واليأس والإحباط لا تُعد أشياء جديدة على المجتمع البشري، بل وجدت على مدى معظم تاريخه المسجل، ولكن البؤس في عالمنا اليوم يختلف، لأنه يوجد جنباً إلى جنب مع ثروة يكفي مقدارها بسهولة للقضاء على الفقراء إلى الأبد.

وللأسف فإن الجوع يتواجد جنباً إلى جنب مع مخزون هائل من الأغذية، والدليل على ذلك جبال الأغذية.

قبل خمسين عاماً كان الخمس الأغنى ٢٠% من سكان العالم يمتلك ٣٠% من الدخل، واليوم يمتلكون ٦٠% من هذا الدخل، في نفس الوقت، فإن الخمس الأفقر ٢٠% من البشر يقتسمون ٤% فقط من إجمالي الناتج العالمي.

لقد حذر تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية بأن السبب الرئيس في زيادة الصراعات الداخلية في العالم هو التهديد المستمر للجوع والعنف والأمراض.

ويلاحظ أن الدول، صغيرة وكبيرة، تفضل إنفاق المليارات على الأسلحة الحديثة على الاهتمام بالحاجات الضرورية للشعوب.

إذ وسط هذا البؤس وتلك القذرات، انتعشت مئات الشرور، فقد عادت للظهور أمراض قاتلة وانتشر إدمان المخدرات، حيث يعتبر بعض الناس ذلك هو الطريق الوحيد للهروب، ولو مؤقتاً، من معاناتهم، وارتفعت معدلات الانتحار وتزايدت الجريمة حيث إن أقلية من الفقراء يرون فيها الطريق الوحيد للحصول على الثروة التي تتيح تقليد الحياة الفاخرة للأغنياء التي تتباهى بها أمامهم وكالات الإعلام. وفق كل ذلك جاء التأثير الفظيع للحرب.



إنَّ لغزاً كبيراً يواجهنا ولم نستطيع بَعْدُ فهمه، فبينما يتم إنتاج ثروات أكبر مما كان يُنتج من قبل في التاريخ، وتوجد اختراعات تزيد من إنتاج أشياء متنوعة، شاملة أغذية أساسية حرمت منها أجيال من البشرية، كما استطاع البشر اقتحام الفضاء الخارجي واكتشفوا أعماق المحيطات واستطاعوا استخدام الماكينات للقيام بالأعباء الضخمة، وكذا إرسال المعلومات من جانب من العالم إلى الجانب الآخر في جزء من الثانية.

ومع ذلك، وبدلاً من ضمان تخفيف أعباء البشرية، تصبح هذه الأعباء أشد حدة، وبدلاً من أن يتطلع الناس إلى حياة أكثر رغداً وراحة، غالباً ما يعيشون في خوف من أن تزداد الأمور سوءاً، وبدلاً من أن يختفي البؤس نجده يتزايد.





## شهادات اقتصادية ( ٢٧ )

### العنوان : اقتصاد البؤس والتعاسة

**الرسالة : أعطوا الناس ساندويتش همبرجر وأرسلوهم إلى عالم ديزني!  
حتى نمنع نصف البشرية من التمرد واختيار العنف!؟**

إنه لأمر مؤثر عن حق ما يقوله "توماس فريدمان": إن بؤساء الأرض يرغبون في الذهاب إلى عالم ديزني، وليس إلى المتاريس، تستحق هذه العبارة مكاناً لها لدى الأجيال القادمة، بجوار إعلان الملكة ماري إنطوانيت عام ١٧٨٩م الذي صرحت به عندما علمت أن الناس تتور في باريس مطالبة بالخبز، قالت: فليأكلوا الكعك!!

إن قراءة فاحصة لتقارير التنمية البشرية الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة للتنمية تؤكد أن أكثر من ٢ بليون نسمة أو ربع البشرية يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم، وربما لن يزعجهم الذهاب إلى والت ديزني، ولكنهم سيفضلون أولاً وقبل كل شيء الحصول على طعام جيد، ومسكن لائق، وملابس مناسبة، وتعليم أفضل، فضلاً عن الحصول على وظيفة.

إن ملايين الناس في جميع أنحاء العالم مستعدون من أجل الحصول على الاحتياجات الأساسية أن يشيّدوا المتاريس، ويلجئوا للعنف دون أدنى شك، إذا لماذا لا يجري تخصيص جزء ضئيل جداً من ثروة العالم؛ من أجل تعساء الأرض!؟

إذا لو خصصنا ١% فقط من هذه الثروة لمدة عشرين سنة لتنمية البشر التعساء فمن الممكن أن يختفي البؤس الشديد، وتختفي معه مخاطر العنف المستوطن، بيد أن العولمة صمّاء وعمياء إزاء تلك الاعتبارات، وبالعكس فهي تزيد من سوء الاختلافات والانقسامات، وتعمل على استقطاب المجتمعات، في عام ١٩٦٠م قبل العولمة المعاصرة كان أكثر من ٢٠% من سكان الكوكب أغنى ثلاثين مرة من أفقر من ٢٠%، وفي عام ١٩٩٧م وفي ظل قمة العولمة كان الأكثر ثراءً أغنى ٧٤ مرة من أفقر الفقراء في العالم!! وتتنامى هذه الفجوة كل يوم، واليوم إذا جمعنا الناتج الوطني الإجمالي لجميع البلدان المتخلفة في العالم بسكانها البالغ عددهم أكثر من ٨٠٠ مليون نسمة، لن يعادل ناتج الجمع مجموع ثروة أغنى ثلاثة أفراد في العالم.



صحيح أن للعولمة جوانب إيجابية إلى جانب آثارها السلبية، ولكن كيف يمكننا التغاضي عن حقيقة انخفاض دخل الفرد في أكثر من ٨٠ بلدًا أو في نصف دول العالم تقريبًا خلال أعوام العولمة العشرين؟! أم أنه منذ سقوط الشيوعية، عندما رتب الغرب افتراضياً علاجاً اقتصادياً عبقرياً للاتحاد السوفيتي السابق، مطاعم ماكدونالدز جيدة، وقع أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة من سكان الاتحاد السوفيتي السابق من مجموع السكان الذي يصل إلى ٣٥٠ مليون نسمة تقريباً في شباك الفقر؟!!!

للحقيقة فإن العولمة تمثل عرضاً من أعراض نهاية الدورة ليس نهاية العصر الصناعي فحسب، مع وجود التقنية الجديدة اليوم، وليس نهاية الثورة الرأسمالية الأولى فحسب مع الثورة المالية، ولكنها أيضاً نهاية الدورة الفكرية الدورة التي كان العقل يقودها، كما عرفها فلاسفة القرن ١٨م، لقد ولّد العقل السياسة الحديثة كما زعموا، وأشعل شرارة الثورتين الأمريكية والفرنسية، ولكن هذا العقل المشيد: الدولة، المجتمع، الصناعة، القومية، الاشتراكية، قد تغيّر تغيُّراً عميقاً.

إن انتصار السوق وتوسع العولمة قد يؤدي إلى حدوث مكاشفة حتمية بين الرأسمالية والديمقراطية، بحيث تقود الرأسمالية بلا هوادة إلى تركيز الثورة والقوة الاقتصادية في أيدي مجموعة صغيرة، وهو ما يقود بدوره إلى التساؤل الأساس التالي: كم تستغرق عملية إعادة التوزيع من وقت؛ كي تجعل هيمنة الأقلية الغنية مقبولة لدى غالبية سكان العالم؟

وتكمن المشكلة في أن السوق يعجز عن الاستجابة والعولمة تدمر دولة الرفاه في جميع أنحاء العالم.

إذاً: ما الذي يمكننا القيام به؟! أظن أن الإجابة النموذجية عند دُعاة العولمة: أعطوا الناس ساندويتشات الهمبرجر، وأرسلوهم إلى عالم ديزني! حتى نمنع نصف البشرية من التمرد واختيار العنف؟!!



## شهادات اقتصادية ( ٢٨ )

### العنوان : اقتصاد خارج الاقتصاد

الرسالة : إن الشركات متعددة الجنسية من أكثر التطورات دراماتيكية

من المؤكد أن الشركات الدولية ليست ظاهرة جديدة؟ ولكن الموقف الراهن يتطلب رسم صورة موضوعية تبين دور هذه الشركات وتأثيراتها الخطيرة وإعداد الوسائل الكفيلة لمواجهة نشاطات هذه الشركات الدولية... وقد آن الأوان!!.

لقد أصبح من المسلّم به، على نطاق واسع، بين علماء الاقتصاد وبين الباحثين في المجالات الاقتصادية والمالية والنقدية على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والمنهجية أن بزوغ الشركات متعددة الجنسية ونموها أو كما تسمى أحياناً الشركات الدولية أو الشركات العابرة الجنسية هو واحد من أكثر التطورات دراماتيكية في فترة السنوات الأخيرة.

ويعتبر بعض الباحثين هذا التطور ظاهرة كبرى أو الظاهرة الأكبر في الاقتصاد الدولي في يومنا الحاضر وتتجاوز هذه الأهمية حدود المجال الاقتصادي إلى التأثير العميق في المجالات السياسية والاجتماعية وبصفة خاصة في دور الحكومات في ممارستها لمسؤوليتها، وفي سير العلاقات بين الدول.

إن عمليات هذه الشركات تنتشر الآن على اتساع العالم كله، حيث تبني المصانع، وتبيع منتجاتها في عديد من الدول المختلفة، وحيث تحوّل مبالغ هائلة من النقود بين العملات المختلفة، وفقاً لاحتياجاتها، وتوظف أناساً من جنسيات متباينة.

ومن ناحية أخرى، فإن هذه الشركات على درجة بالغة من الضخامة، حتى إن المبيعات السنوية لواحدة منها يمكن أن تعادل أو تفوق إجمالي الإنتاج الوطني لواحدة من الدول الأوروبية، كما أن معدل نموها أسرع بكثير منها.

إن الشركات متعددة الجنسية تشكل اليوم قوة اقتصادية عظمى، فإننتاجها يزيد بمعدل يبلغ نحو ضعف معدل نمو الاقتصاد الداخلي للدول الصناعية المتقدمة، ومن المتوقع أن يكون لنحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ شركة من هذه الشركات ملكية مالا يقل عن ثلثي مجموع الأصول الثابتة في العالم بأسره، وأن تقوم بإنتاج أكثر من نصف الإنتاج العالمي.

وقد قدّر باحثو " جامعة هارفارد " أن القيمة المضافة التي حققتها الشركات متعددة الجنسية خلال عام واحد بلغت حوالي ٥٠٠ مليار دولار، أي خمس ٥/١ إجمالي الإنتاج الوطني لكل دول العالم.



وقد توصل أحد الباحثين إلى أن كل دولار واحد من القيمة الاستثمارية النقدية ينتج دولارين من المبيعات سنوياً. وعلى هذا الأساس نفسه تكون الشركات الدولية قد أنتجت من السلع ما تربو قيمته على ٣٠٠ مليار دولار خارج بلدانها الأصلية. وهذا الرقم يفوق القيمة الكلية للتجارة العالمية خلال ذلك العام.

إن هذه الحقائق والمعطيات وجّهت الأنظار إلى خطورة دور الشركات متعددة الجنسية وتأثيرها في العالم كله. وزاد من هذا الاهتمام ما تبين لعديد من الباحثين من أن هذه الشركات تفرض قيوداً شديدة على المعلومات عن استثماراتها وعملياتها ومبيعاتها وأرباحها وتحويلاتها النقدية، وما تبين أيضاً من أن معظم مديري هذه الشركات العملاقة يفضلون عدم إثارة المناقشات حول هذه المعلومات سواء في مؤتمرات أو ندوات أو حلقات دراسية.

إذ يشعر هؤلاء أن من الخطورة بمكان مناقشة آثار النمو السريع للشركات الدولية على الملأ، على أساس أن مثل هذه المناقشة من شأنها أن تثير انزعاج الحكومات والرأي العام في البلدان التي تمارس فيها نشاطاتها الأمر الذي قد يثير بالتالي أفعالاً سياسية ضارة بمصالح تلك الشركات.

وللأسف، فإن سيطرة بعض الشركات الدولية في المجال التقني تبلغ حدّاً يجعل لها هيمنة سياسية واجتماعية في بعض الأحيان. لذا، يؤكد أكثر من مصدر اقتصادي أن هناك ثمناً سياسياً لقاء الفوائد العلمية والاجتماعية التي تقدمها الشركات الدولية في مجال التقدم التقني.

إن الشركات متعددة الجنسية تمارس سيطرة مركزية كاملة من البلد الأصلي على فروعها المنتشرة في أنحاء العالم. وجميع الفروع تعمل تحت نظام دقيق وفي إطار استراتيجية عالمية وسيطرة عالمية مشتركة. ذلك لأن المركز الرئيس للشركة متعددة الجنسية هو بمثابة الدماغ والجهاز العصبي المركزي، لهذه الاستراتيجيات.

إن دوائر اقتصادية عديدة في العالم تذهب الآن إلى أن معدل ازدياد قوة الشركات متعددة الجنسية وسلطانها ونفوذها سوف يتسارع بصورة دراماتيكية، وأن العالم يتحوّل نتيجة لذلك بسرعة نحو عصر المؤسسات الأكبر من عملاقة.

وللأسف، فإن الشركات الدولية تفرض شروطاً باهظة ومجحفة على دول العالم الثالث النامية، مقابل تقديم رؤوس الأموال الأجنبية إلى هذه الدول. وبصفة عامة فإن الشركات الدولية لا تقوم بالاستثمار في الدول النامية إلا بشروط تحقق لها أرباحاً أعلى بكثير من تلك التي تحصل عليها من الاستثمار في الدول الصناعية المتقدمة.



## شهادات اقتصادية ( ٢٩ )

### العنوان : الإقتصاديات المشبوهة

الرسالة : غالباً ما تكون الإعلانات عن الأغذية منخفضة الدسم مجرد كذبة تطلقها شركات الأغذية

بغض النظر عن أماكن عيشنا، سواء في الدول النامية أو المتقدمة، فإن الإقتصاديات المشبوهة تعيد تشكيل حياتنا الشخصية ولا تكتفي بأن تملينا كيف نحيا وحسب، بل وتكون سبباً في موت كثير من البشر. ففي أمريكا ثمة قاتل جديد يحيا طليقاً بين الناس ألا وهو مرض البدانة الذي يتسبب بمقتل أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ شخص سنوياً أي ما يعادل ١٩% من حالات الوفاة كافة في أمريكا.

ومن المثير للسخرية حقاً أن هذا الوباء الذي تعود جذوره إلى سبعينات القرن الماضي، ازدهر وانتشر في أواخر ثمانينات القرن نفسه عندما استفاقت أمريكا على مخاطر زيادة الوزن، ففي اللحظة عينها التي يقرر الشخص فيها أن يصبح نحياً يبدأ في الحقيقة باكتساب الوزن الزائد.

والعجيب أن هذا المرض (البدانة) لم يلبث أن انتقل من العالم الغربي وتجاوزه فسرعة انتشار البدانة اليوم في آسيا تفوق سرعة انتشاره في أمريكا وأوروبا. لقد أدت محاربة الانتفاخ إلى ظهور الحميات منخفضة الدسم، فتم انتزاع الدسم من المواد الغذائية واستبداله بالكربوهيدرات التي لا يرتفع فيها عدد السعرات الحرارية وحسب، بل تنتج الدهون أيضاً. فمذ القدم يعرف المزارعون أن الحبوب تسمن الحيوانات، والمبدأ نفسه ينطبق على البشر.

إن معظم الأغذية منخفضة الدسم الموجودة في المحال التجارية مشبعة بالكربوهيدرات إلى درجة تصبح معها جرعة السعرات الحرارية الموجودة في هذه الأغذية مماثلة للأغذية العادية.

وفي وسعك عند الذهاب للتسوق في المرة المقبلة أن تقارن عدد السعرات الحرارية الموجودة في المنتجات العادية ومنزوعة الدسم من الغذاء نفسه وستُدْهش للفارق الضئيل بينهما.

وللأسف يجهل كثير من المستهلكين أن المنتجات التي يتم الترويج لها على أنها منخفة لا تساعدهم على ذلك، بل إنها تؤدي إلى هلاكهم في بعض الحالات، فهم يشترونها واهمين أنها إكسير الشباب الدائم.



و غالباً ما تكون الإعلانات عن الأغذية منخفضة الدسم مجرد كذبة تطلقها شركات الأغذية والباعة وحتى بعض الهيئات الحكومية؛ لكونها صناعة تدر مليارات الدولارات على أصحابها.

ويكاد كل منتج نستهلكه يخفي تاريخاً أسود لا يقف عند العمالة المسترقة، بل ويتعداها إلى القرصنة وأعمال التزوير والسرقعة وغسيل الأموال.

وبالرغم من أننا مستهلكون، فبالكاد نعرف الشيء القليل عن هذه الأسرار الاقتصادية الخفية حول ما نستهلكه، ذلك لأننا عالقون في شبكة سوق محكمة من الأوهام التي صنعتها الإعلانات التجارية.

فلأسف، فإن بعض المستهلكين يعيشون في عالم خيالي، حيث نعتقد بأن حياتنا في أفضل حالاتها، لأننا قادرين على دفع ثمن أشياء لم يكن يحلم أبؤنا وأجدادنا بامتلاكها. هذا وهم، فوكبنا غارق في فوضى تجارية عارمة.

إن السوق العولمية هي أخطر مرتع للاقتصاديات المشبوهة، لأن منتجاتها تتسلل إلى الاقتصاديات التقليدية وتفسدها. لذا فإن الاقتصاديات المشبوهة ليست استثنائية، وإنما هي قوة شريرة مستفحلة في صميم وجودنا الاجتماعي تنشب مخالبتها باستمرار في المجتمعات التي نحيا فيها.

إن تجريد الحياة الحديثة من غطاء أو اثنين من الأغطية التي تكسوها، لا يكفي لكشف النقاب عن حقيقة هذه الظاهرة التي كانت دوماً جزءاً من تاريخ البشرية.

ختاماً يمكن القول لفهم طبيعة الاقتصاديات المشبوهة، لا بد لنا من التعرف على أساساتها التي تشكلت جراء المعركة الأزلية بين السياسة والاقتصاد، والتي دارت رحاها الطاحنة على مر العصور.



## شهادات اقتصادية ( ٣٠ )

### العنوان : اقتصاديات الأسلوب الجديد للحياة

الرسالة : إن النمو السكاني هو الوحيد الذي ينافس الاستهلاك المرتفع

إن النمو السكاني هو الوحيد الذي ينافس الاستهلاك المرتفع كسبب للتدهور البيئي، وعلى الأقل فإن كثيراً من حكومات العالم يعتبرون النمو السكاني الآن مشكلة- وتبايناً مع ذلك، فإن الاستهلاك يعتبر خيراً على النطاق العالمي- والواقع أن زيادته تعتبر الهدف الرئيس للسياسة الاقتصادية الوطنية، ومستويات الاستهلاك تظهر النمو الكامل لشكل جديد للمجتمع البشري >المجتمع الاستهلاكي.<

لقد نشأ هذا الأسلوب الجديد للحياة في مجتمعات الغرب، والكلمات التي تمثل روح هذا الأسلوب على أحسن وجه هي التي قالها فيكتور ليبو : إن اقتصادنا الإنتاجي يتطلب بدرجة هائلة أن نجعل الاستهلاك هو أسلوبنا في الحياة، ويحول شراء السلع واستخدامها إلى طقوس نداوم على أدائها، ونلتمس رضاءنا الروحي، ورضاً غرورنا في الاستهلاك، إننا في حاجة إلى استهلاك الأشياء وحرقتها وبيعها وتبديلها بمعدل دائم الزيادة- وللأسف، فقد تبارى في محاكاة أسلوب الحياة الذي ابتدع في الغرب أولئك الذين يطبقونه في مختلف أنحاء العالم، ولكن كثيرين لا يستطيعون ذلك- والصدوع الاقتصادية التي تمزق العالم تستعصي على الفهم، فالعالم فيه ٣٠٠ بليونيراً وأكثر من ثلاثة ملايين مليونيراً، وفيه أيضاً ٥٠٠ مليون شخص بلا مأوى يسكنون الأرصفة ومقالب القمامة وتحت الجسور.

كذلك، فإن قيمة مبيعات السلع الفاخرة على النطاق العالمي أرقى الأزياء وأفخر السيارات وغيرها من علامات الثراء الأخرى، تفوق إجمالي النواتج الوطنية لثلاثي دول العالم- يقول آلن درتنج في كتاب ما وراء الأرقام : اليوم يوجد في العالم ثلاث طبقات أيكولوجية رئيسية: هي طبقات المستهلكين وطبقات ذوي الدخل المتوسط والفقراء، وكل طبقة لها خصائصها وسماتها التي تميزها اقتصاداً.

إن فقراء العالم البالغ عددهم ١,٦ بليون شخص تقريباً، يحصلون على دخل مقداره ٤٠٠ دولار سنوياً لكل فرد من أفراد الأسرة، ومن ثم فإن هذه المجموعة البشرية التي تضم >خمس سكان العالم وأقفرهم تحصل على ٢% لا غير من دخل العالم.



أما طبقة الدخل المتوسط في العالم، التي تضم ٣,٣ بليون شخص، فإن دخلها يتراوح بين ٧٠٠ - ٧٥٠ دولاراً سنوياً لكل فرد من أفراد الأسرة. وتشمل طبقة المستهلكين التي تضم ١,١ بليون شخص من أعضاء المجتمع الاستهلاكي العالم، جميع العائلات التي يزيد دخل كل فرد من أفراد أسرها على ٧٥٠ دولاراً سنوياً. إن الثغرة الواسعة التي تفصل بين استهلاك السعداء والبؤساء من الموارد تظهر واضحة في تأثيراتهم في العالم البيئي، فاتجاهات الاستهلاك المندفعة صعوداً تبعاً لزيادة عدد المجتمع الاستهلاكي هي من منظور آخر مؤشرات عارمة للضرر البيئي.

فاستغلال المجتمع الاستهلاكي للموارد يهدد باستنزاف الغابات والتراب والماء والهواء أو تسميمها أو تشويهاها تشويهاً ثابتاً لا يمكن تغييره، وأعضاء المجتمع الاستهلاكي مسؤولون عن جزء غير متناسب من جميع التحديات البيئية التي تواجه الإنسانية.

حيث إن استخدام طبقة المستهلكين للوقود الحفري بأنواعه، على سبيل المثال، يتسبب فيما يقدر بثلاثي انبعاثات ثاني أكسيد الكربون من هذا المصدر. إن الاستهلاك المرتفع يحدث تأثيرات ضخمة في حياتنا، ورياش أسلوب حياتنا الاستهلاكي، تلك الأشياء كالسيارات والسلع ومواد التغليف والتعبئة التي يتم التخلص منها بعد استعمالها مرة واحدة، والقوت الغني بالدسم وتكييف الهواء، لا يمكن التمتع بها إلا بخسارة بيئية فادحة. كما أن طريقتنا في الحياة تتوقف على مدخلات ضخمة ومستمرة من السلع نفسها التي يلحق إنتاجها أبلغ الأضرار بالأرض: وهي الطاقة والمعادن والورق والكيماويات، وهذه الصناعات الأربع تحتل المراكز الأولى في القوائم الخمس التي ترتب الصناعات.

وهكذا، فإن أعضاء المجتمع الاستهلاكي مسؤولون عن المحن التي تتعرض لها الأرض بدءاً من الدفء العالمي وانتهاء إلى انقراض الأنواع. ومع هذا، فإن استهلاكنا نادراً ما يحظى بانتباه أولئك الذين يساورهم القلق بشأن مصير الأرض، حيث إنهم يركزون على الأسباب الأخرى المسهمة في التدهور البيئي. والواقع، فالاستهلاك هو المتغير الذي أسقط من المعادلة البيئية العالمية.

إذ إن العبء الكلي الذي يتقل به نظام اقتصادي النظم الأيكولوجية التي يقوم عليها هو دالة لثلاثة متغيرات هي: حجم السكان، ومتوسط الاستهلاك، ومجموعة التقنيات.





وما يحدث بصفة عامة، هو أن المهتمين بشؤون البيئة يبحثون في تنظيم التقنيات وتغييرها، ومؤيدي تنظيم الأسرة يركزون على إبطاء النمو السكاني. بيد أنه لا يمكن أن يكفي التغيير التقني وتثبيت عدد السكان وحدهما لإنقاذ الكوكب من دون تكميلهما.

وللأسف، فإن الاستهلاك المرتفع نعمة متناقضة الأوجه فيما يتعلق بالإنسان أيضاً، فالناس الذين يعيشون في التسعينيات هم في المتوسط أغنى من أسلافهم في بداية القرن أربع مرات ونصف المرة، ولكنهم ليسوا أسعد منهم أربع مرات ونصف المرة. وما هو أسوأ أن هناك مصدرين رئيسيين للرضا الإنساني، وهما العلاقات الاجتماعية، ووقت الفراغ، ويبدو أنهما قد ضويا أو توقف تقدمهما في زحمة الاندفاع طلباً للثراء.

وعلى ذلك، فلدى كثيرين منّا في المجتمع الاستهلاكي إحساس بأن عالم الوفرة الذي نعيش فيه أجوف بطريقة أو بأخرى، وبأننا قد خدعنا بالثقافة المحبذة لزيادة الاستهلاك. فقد كنا نحاول بلا جدوى تلبية الاحتياجات الاجتماعية والنفسية والروحية أساساً بأشياء مادية فقط منقادين خلف خيالات وتصورات متوهمة.

وفي المقابل، فإن نقيض «فرط الاستهلاك»، وهو «العوز» بالطبع، ليس هو الحل للمشكلات البيئية أو الإنسانية، فهو أسوأ بلا حدود بالنسبة للكثير من الناس وسيء للعالم البيئي. فإذا كان الدمار البيئي يحل عندما يكون ما لدى الناس أقل أو أكثر مما ينبغي، فليس أمامنا إلا أن نتساءل: ما مقدار ما يكفي؟ وما مستوى الاستهلاك الذي تطيقه الأرض؟ ومتى تتوقف زيادة الثراء عن زيادة رضا الإنسان بقدر محسوس؟ وهل يمكن لجميع السكان في العالم أن يعيشوا عيشة مريحة من دون أن يتسببوا في تدهور ازدهار الكوكب البيئي؟ وهل يوجد مستوى معيشي أعلى من الفقر والكفاف ولكن دون أسلوب الحياة الاستهلاكي؟ وهل يمكن أن يكون لدى جميع الناس في العالم تدفئة مركزية وثلاجات ومجففات ملابس، وسيارات وأجهزة تكييف الهواء وأحواض سباحة مياهها دافئة ومنزل لكل منهم؟!.

الحقيقة، لا يمكن الإجابة بشكل قاطع عن كثير من هذه الأسئلة.

ولكن، التساؤل أساسي، على الرغم من ذلك، بالنسبة لأعضاء المجتمع الاستهلاكي، فإذا لم ندرك أن المزيد ليس دائماً أفضل، فإن جهودنا لإحباط التدهور البيئي ستطرح بمعظم شهواتنا. وإذا لم نتساءل، فالمحتمل أننا سنكون عاجزين عن إدراك القوى المحيطة بنا، والتي تثير هذه الشهوات مثل الإعلان المستمر بلا هوادة، والمراكز التجارية المتكاثرة والضغط الاجتماعي لمجاراة الخلآن والجيران.



وللأسف، فقد لا ننتهز الفرص لتحسين مستويات حياتنا بخفض الاستهلاك المرتفع، وخفض ساعات العمل، وقضاء بعض الوقت مع الأسرة والأصدقاء. ومع هذا، فليست هناك مغالاة في أن التحوُّل من المجتمع الاستهلاكي إلى مجتمع متواصل صعب، فنحن المستهلكين ننعَم بأسلوب حياة يطمح إليه كل إنسان تقريباً، ولمَ لا؟! فَمَنْ ذا الذي لا يسارع إلى اقتناء سيارة ومنزل كبير على مساحة واسعة من الأرض يتحكم في درجة الحرارة داخله طوال أيام السنة؟

إن زخم قرون التاريخ الاقتصادي وشهوات الخمسة بلايين ونصف البليون شخص المادية تنحاز إلى جانب زيادة الاستهلاك. وعلى ذلك، فربما نكون أمام مشكلة لا تسمح بأي حال بعلاج مقبول، فالتوسع في أسلوب الحياة الاستهلاكي ليشمل الجميع من شأنه أن يعجّل خراب المحيط الحيوي.

فالبينة العالمية لا تستطيع إعالة ١,١ بليون شخص يعيشون على نمط حياة المستهلكين الغربيين، ولا بالتأكيد ٥,٥ بليون شخص أو سكان العالم في المستقبل الذين لن يقل عددهم عن ثمانية بلايين شخص.

ومن ناحية أخرى، فإن خفض مستويات استهلاك المجتمع الاستهلاكي وكبح الطموح المادي في المجتمعات الأخرى اقتراح خيالي غير عملي، ولو أنه مقبول أخلاقياً، ومع هذا فقد يكون هو الخيار الوحيد.

فإذا أريد لأحفادنا أن يرثوا كوكباً عامراً بالوفرة والجمال، فيتحتّم علينا نحن المنتميين إلى طبقة المستهلكين أن نأكل ونتنقل ونستخدم الطاقة والموارد بأسلوب أقرب شَبهاً للأسلوب المتَّبَع في الدرجة الوسطى من السلم الاقتصادي العالمي. ختاماً أقول: إن غنى المرء يتناسب مع الأشياء التي يطيق أن يدعها وشأنها!!



## شهادات اقتصادية ( ٣١ )

### العنوان : الترهات الاقتصادية

الرسالة : يجب التعامل مع الترهات باعتبارها لا تلعب دوراً هيناً في الاقتصاد.

تفسر مفاهيم علم الاقتصاد الصعبة أفضل تفسير باستخدام كلمات بسيطة ومعبرة. ويفترض أن يصف علماء الاقتصاد ما يجري ويفسرونه. وأفضل هؤلاء العلماء يعرفون ما يحدث وبإمكانهم إقناعنا. لكن المشاكل تطرأ عندما:

- . يكونون على علم بما يحدث، لكنهم لا يستطيعون إقناعنا.
- . أولاً يعلمون، لكنهم يحاولون إقناعنا على أي حال.
- . أو يعلمون أن حقيقة الأمور تختلف عما يحاولون إقناعنا به.

إن من السهل جداً مواربة الحقيقة في مجال الاقتصاد، والتساهل حيال ذلك، على الرغم من ضرره البين، أكثر بكثير في الاقتصاد من غيره من الفروع المعرفية الأخرى. وهناك سبب آخر لذلك هو أنه في مجال الاقتصاد يسهل خداع الناس، وإقناعهم بوجود علاقات ليست موجودة فعلياً ضمن العمليات الاقتصادية مثل: الادخار والتراكم والاستثمار والإنتاج والتجارة والتمويل.

وعندما يدلي علماء الاقتصاد بتصريحات يتبين عاجلاً أو آجلاً أنها غير صحيحة، نُترك نحن أمام إشكالية: هل كانوا على خطأ أم كانوا يكذبون؟ ولا توجد احتمالات أخرى، ربما باستثناء أنهم كانوا مخطئين إلى حد ما، وكاذبين إلى حد ما.

هذه الحجج والأمثلة، التي لا يصعب أن نجد الكثير منها بالرجوع إلى تجارب كثير من الدول في فترات عدة، ينبغي أن تساعد في فهم أسباب ظهور أمور سيئة وكأنها جيدة، وينبغي أيضاً أن تمدنا بالمعرفة اللازمة لتجنب الأخطاء.

فلقد كتب الكثير عن كيفية تضليل الناس بالعلم، وكيف يمكن أن يصروا على الخطأ فترات طويلة، واضعين ثقتهم في هراء وخزعبلات وعلم زائف وخرافات وخداع. لكن مع الأسف، نادراً ما كُتب حول هذا الموضوع في مجال الاقتصاد.

يصف فرانسيس وين في كتابه: ((كيف اجتاحت الترهات العالم)) هذا الأمر وصفاً ساخرًا وهزلياً إلى حد ما. وفوق كل هذا، وصفاً ذكياً. وربما يجب التعامل مع الترهات باعتبارها فئة خاصة في علم الاجتماع والعلوم السياسية، فهي لا تلعب دوراً هيناً في الاقتصاد.



إن وصفة صياغة الترهات الاقتصادية سهلة، وهي كما يأتي: أولاً: بسّط الأمور قدر الإمكان، ثم بالغ. كأن تقول على سبيل المثال: إذا خصصنا كل شيء فسيتحسن كل شيء سريعاً. أو على العكس: إذا أممنا كل شيء فسيتحسن كل شيء أكثر فأكثر. هذا يعتمد على الفترة الزمنية التي يُدخل فيها الهراء إلى عقولنا لتشويشها.

ومن الأمثلة الأخرى على تلك الترهات شعار إما أن تبتكر أو تتوقف عن العمل. الذي ظهر مؤخراً، فقد كان هذا اتجاهاً شائعاً في كليات وأقسام الإدارة. ومع أنه ما من شخص عاقل يمكن أن ينكر أهمية الابتكار البالغة في تحقيق مزيد من الانتاجية والتقدم الاقتصادي بوجه عام، فإننا نعلم أيضاً أن التطور كان ممكناً لقرون معينة من دون وجود أي قدرات ابتكارية بارزة. وحتى يومنا هذا، لا تتوقف أغلبية الدول (الاقتصادات الوطنية) والغالبية العظمى من الشركات عن العمل نتيجة لغياب موهبة الابتكار، بل تجري أمورها على ما يرام، وتحقق عيشاً كريماً. وللأسف تسببت هذه الأمثلة وغيرها من الترهات والأكاذيب في ضرر لا حد له، على المستويين المادي والفكري على حد سواء. فعلى أي حال، نحن لا نعيش في عالم من الكلمات فحسب، بل من الأفعال أيضاً، بما فيها الأفعال الخاطئة والضارة. والكثير من تلك الأفعال لا يمكن إصلاح عواقبه. لقد عانينا الخسائر والأضرار بالفعل.

إن الاقتصاد يشبه طريقاً وسط الغابة، حيث من السهل جداً أن تضلّ الطريق، فعندما تستدير كي تعود أدراجك يبدو الطريق وكأنه نفس الطريق الذي سلكته، لكنه لا يكون كذلك.

إن التغيّر لونه اقتصادي قائم بذاته، قد يكون بالغ العمق، ويمتد إلى جوهر الظواهر أو العمليات التي يجري بحثها. ومع الأسف، بدلاً من التكيف مع التغيّر، غالباً يتطلع الاقتصاديون إلى دول أكثر تقدماً وذات ثقافات مختلفة، وتقنيات أكثر تفوقاً ومؤسسات أكثر نضجاً، ويستعيرون منها تفسيرات، وعناصر نظرية، وحتى مذاهب فكرية، حتى إنهم يواجهون فيما بعد مشكلة في التكيف مع الظروف المحلية، وهذا يجعلهم كمن ينتعل فرديتي حذاء للقدم اليسرى.



## شهادات اقتصادية ( ٣٢ )

### العنوان : كاريكاتوريات اقتصادية

الرسالة : إن العلم الاقتصادي يجتاز اليوم منعطفًا فطن إليه كثير من الناس، بيد أن هناك اقتصاديين يرفضون الإذعان بذلك

إن العلم الاقتصادي يجتاز اليوم منعطفًا فطن إليه كثير من الناس، بيد أن كثيرًا من الاقتصاديين، ولا سيما المحترفين منهم ما زالوا يرفضون الإذعان. وما برحت الكتب الاقتصادية الكلاسيكية المتداولة تصف بلا انزعاج نفس النظريات الأكاديمية، خلا بعض التزيينات التي أريد لها أن تناسب الذوق الدارج، وبعض التوسعات التي ما فتئت تعالج هامشيًا وسطحيًا المسائل القديمة بلباس جديد. وهي إذ تنشئ الأجيال القادمة من الاقتصاديين والكوادر والمعلمين تسهم في إنتاج، وإعادة إنتاج نماذج اقتصادية تم تجاوزها وعفا عليها الزمن. لذا، كتب جاك أتالي كتابه "ضد الاقتصاد"؛ لتوضيح أن التنظيمات والسلوكيات الاقتصادية في الأعوام القريبة القادمة سوف تختلف جدًا وبالتأكيد عمًا هي عليه اليوم وأن اقتصادًا منفتحًا على العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى سيتمكن أن يساعد على تهيئة هذا المستقبل، بتقديم واقتراح تحليلات جذرية جديدة. وهذا يستلزم طرح الكاريكاتورات التي بُني عليها هذا العلم حتى الآن؛ لاستيعاب كل التعقيد الثقافي والاجتماعي للمجتمع الإنساني. إن اقتراحات هذا الاقتصاد المضاد، كإقتراحات أي علم اجتماعي حقيقي لا يمكن أن تسجل إذا إلا خارج مثاليات هذا العصر.

لماذا يعلن المؤلف منذ البداية أنه ضد الاقتصاد؟!!

ذلك لأن الكتاب في حقيقته نقد من حيث الشكل والمضمون للتعليم التقليدي لمادة الاقتصاد، هذا التعليم الذي يقوم على أنه علم منفصل عن العلوم الإنسانية الأخرى، في حين أن أية جزئية من هذا القبيل ليست ممكنة ولا مقبولة في علوم الإنسان. كتاب "ضد الاقتصاد" كتاب اقتصادي فلسفي فكري سياسي ذو نظرة إجمالية شاملة، ينتقد النظريات السائدة ويدعو إلى إدخال الآلام الاجتماعية من مخلفات الأنظمة والفلسفات النافذة، في اعتبار التحليل الاقتصادي.

ففيه عَرَضٌ مجمل لعدد من التعريفات الأساسية والنظريات المهمة، نظرية التوازن العام، ونظرية المستهلك الرشيد، ونظرية النمو، ونظرية السلع الجماعية، ونظرية البيئة، ونظرية اقتصادية في الطوباوية.



وفيه موضوعات أخرى الاقتصاد الجزئي، والكُلّي، والحد الأمثل للتوزيع والتخطيط الاشتراكي، ومحاكاة السوق والتجارة الخارجية، وقضايا التلوث والسكان والفقير والعالم الثالث، والتسيير الذاتي والتفاوت في الدخل وتكافؤ الفرص. كل ذلك، دون أن يهمل استعمال المصطلحات والنماذج والمعادلات والرسوم البيانية، بل والصور الكاريكاتورية، ويأتي بكثير من الشواهد لعدد كبير من الاقتصاديين والمفكرين: ماركس، ماركوز، بيتلهام، سترأوس، سميث، باريتو، كوزنيتس.

إن الكتاب محاولة للمساهمة في الحركة الأوروبية، وهو يدعو إلى الاعتماد ليس على الملاحظة فقط، بل على التجربة؛ بحيث يتم الانتقال من المجرد إلى المحسوس، وضرورة قيام الطلاب بإجراء زيارات للمعامل والورش، ويدعو إلى ربط الاقتصاد بسائر العلوم الإنسانية وينبّه إلى أثر السياسة في التحليل الاقتصادي. والمؤلف يؤكد أنه لا يرتاح إلى تجارب العالم الرأسمالي، ولا إلى تجربة الاتحاد السوفيتي (السابق)؛ لكونها تنم عن مركزية السلطات الرأسمالية، وتركيز الناس، ووحدات الإنتاج، دون الاهتمام كثيراً بما يترتب على ذلك من آثار سيئة.

وقد حوى الكتاب إلى جانب الرسوم البيانية والمعادلات الرياضية قرابة اثنتي عشرة صورة كاريكاتورية.

إن قارئ ضد الاقتصاد يحس بانتهائه كأنه فرغ من الاستمتاع بموضوع اقتصادي سياسي فكري عُرض في شريط سينمائي.



## شهادات اقتصادية ( ٣٣ )

### العنوان : دروس اقتصادية

الرسالة : إن أهم درس مستفاد من الأخطاء هو: لا تقفز أبداً للاستنتاجات

يحكى أنه في عام ١٩٠٨ واجه فريق شيكاغو كابس فريق نيويورك جاينتس في المباراة الحاسمة لبطولة الدوري الوطني للبيسبول، وأثناء اللعب المثير في نهاية الشوط التاسع، فشل لاعب فريق جاينتس الذي يقف عند القاعدة الأولى - وهو لاعب شاب جيد - دون قصد في ملامسة القاعدة الثانية، مما دفع فريق جاينتس للاعتراض، وأعيدت هذه اللعبة. وانتهى الأمر إلى فوز فريق كابس باللقب بعد مباراة فاصلة.

كان ذلك اللاعب الشاب يدعى فريد ميركل، إلا أنه منذ تلك اللحظة وحتى وفاته، أطلق عليه اسم جديد وهو ميركل الأحمق. وعلى الرغم من جسارته وجهوده النبيلة بعد هذه المباراة، لم يسقط عن نفسه ذلك اللقب أبداً.

اليوم بات الكل تقريباً يعرف سيجموند فرويد، والزلات الفرويدية، والرموز الجنسية. وأي شخص متعلم ينكر معرفته بفرويد لا بد وأنه يكتفم أنه يعرفه.

توماس روبرت مالتوس، لم يلعب البيسبول ولم ير محلاً نفسياً قط، إلا أن اسمه أصبح ذائع الصيت كاسم فرويد، ولحق به خزي غير مستحق، كخزي ميركل الأحمق؛ فقد ألف بايرون - الذي ربما كان في حاجة لمحلل نفسي أكثر من مالتوس - شعراً يتحدث عنه، ويغني فيه الأطفال قوافي تسخر من مالتوس. وبعد عقود من وفاته، هاجمه ماركس بشراسة. وبعد قرن من وفاته، مجد كينز مالتوس وتنبأ بأننا في ذكراه المئوية الثانية ((سنحيي ذكراه بتقدير غير منقوص)). ولكن تقدير غير منقوص مقارنة بماذا؟

إذن، أي جريمة خسيصة ارتكب مالتوس ودفعت حتى شعراء الرومانسية من أمثال كولريديج إلى الرثاء قائلاً: ((انظر إلى تلك الأمة العظيمة، إن حكامها وحكماءها يستمعون إلى مالتوس، فيا له من أمر محزن! حقاً محزن!)).

في عام ١٧٩٨، بدد مالتوس الأحلام الرومانسية للأشخاص الذين كانوا ينظرون إلى القرن التاسع عشر بثقة خيالية، وقد حاكمته الصحف واتهمته بالتنبؤ بأن الزيادة السكانية سينتج عنها مستقبل ليس مليئاً بالسعادة ولكن بانفجار المجتمع وانحلاله. وفي عشية أول أيام القرن الجديد، كان مالتوس على حد قول توم جورمان هو ((هادم الذات))، أو على الأقل كانت نظريته كذلك.



لقد جمع مالتوس حوله آلاف الأتباع، الذين انطلق الكثير منهم في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، مدافعين عن أهمية نبوءات أستاذهم في العصر الحديث. ولكن وباختصار دعونا نقيم تنبؤات مالتوس من منظورنا الحالي. الحقيقة الواضحة هي أن هذه النبوءات كانت خاطئة. فتعداد السكان لم يستمر في التزايد بمعدل هندسي، ولم تتزايد الموارد الغذائية بمعدلات شديدة البطء. ربما اصابنا المآسي الفقراء ولكن لأسباب مختلفة عن التي ذكرها مالتوس. وعلى العكس مما قال، في بريطانيا وكامل القارة الأوروبية، حيث ركز مالتوس انتباهه، أكل الناس طعاماً أفضل، وعاشوا عمراً أطول، وأظهروا ((انضباطاً)) أكبر مما توقع مالتوس.

إن أهم درس أخلاقي مستفاد من أخطاء مالتوس هو: لا تقفز أبداً للاستنتاجات بناءً على بيانات قديمة دون كتابة إخلاء مسؤولية بحروف كبيرة وبارزة، ووضع خط تحته، والتحلي بالتواضع اللازم.

لو أن إسكيلوس - الكاتب المسرحي اليوناني القديم - كان حياً، لكتب مأساة عن باحث نبيل أصابته لعنة بسبب استنتاجه الذي اتسم بالتعالي.

حتى وفاته عام ١٨٣٤، ظل مالتوس مضطراً لإنكار أنه عدو للجنس البشري. ولا يزال المحاضرون والمؤلفون يصفونه بأنه شخص كئيب في أخف الأوصاف حدة، أو بأنه شخص مخيف في أشد الأوصاف وطأة.

ومع ذلك، كان مالتوس ربما بحماقة كان يؤمن بأن منتقديه يرتدون أقنعة مرحة تشوش رؤيتهم وتمنعهم من تبين أن الضوء الذي يرونه في نهاية النفق ما هو إلا قطار يسرع في اتجاههم.





## شهادات اقتصادية ( ٣٤ )

### العنوان : فلسفة اقتصادية

الرسالة : إنَّ الحوافز جزء أساس من علم الاقتصاد. ويمكن توصيلها لمجالات أخرى في الحياة

يبدأ العدد الأكبر من كتب الاقتصاد بالآتي: علم الاقتصاد هو توزيع الموارد النادرة بين المنافسين. أو كما جاء في الكتب المنهجية والمستعملة بكثرة؛ إن علم الاقتصاد هو دراسة كيفية تحديد المجتمع لما سينتجه وكيفية إنتاجه والمستفيد من هذا الإنتاج.

تعتبر هذه التعريفات رائعة وهي بدون شك صحيحة بقدر ما يمكن الجزم به، مع أن بها عيبين مهمين، الأول هو أنك لن تستطيع فهم معنى هاتين العبارتين إلا عندما تدرس الكثير من علم الاقتصاد.

والعيب الثاني هو كونهما ، محدودتين للغاية.

إن علم الاقتصاد يشكل حياتنا اليومية ويتحكم فيها، حتى لو لم نكن على وعي بذلك. فهذا العلم يشمل كل شيء، لكن هذا لا يعني أننا رجالاً ونساءً نعيش كخبراء في الاقتصاد أو أن هواجس المال تستحوذ علينا، ولكن يعني أنه ينبغي التعرف على علم الاقتصاد ولا مفر من ذلك.

لذا ، يتأثر الكثير من الناس من فكرة كون السلوك الإنساني قابلاً للتنبؤ به. بالتأكيد سيزعم الغالبية أن الواقع هو عدم القدرة على توقعه. فمن الممكن تقبل وجود الرجل والمرأة من ذوي المنطق الاقتصادي السديد في الكتب المنهجية، ولكن هل من الممكن أن يكونا موجودين في الواقع؟

وبصرف النظر عن حقيقة عدم وجود شيء ما عشوائي في أسلوب معيشة النمل، فإن جوهر علم الاقتصاد هو اتباع السلوك الإنساني لأنماط معينة متوقعة. فعندما ينخفض سعر منتج من المنتجات مثلاً، يميل الناس عادة لشراء المزيد منه. ولا يدل ذلك على أي شيء مدهش أو يصعب فهمه، ومع ذلك فقد يرى بعض الناس أن ذلك ليس سوى هراء علمي.

فهذا دينيس هيلي لم يكن مقتنعاً بفوائد علم الاقتصاد ككل، إذ كتب في سيرته الذاتية: لقد قررت أنه في حين تعطيك النظرية الاقتصادية رؤى قيمة لما يحدث، فإنها نادراً ما تعكس قواعد واضحة لأداء الحكومة، لأن السلوك الاقتصادي قد يتغير من عام لآخر، ويختلف من دولة لأخرى.



لم يكن هيلي مزعجاً بقدر ما أظن، فقد كانت الفكرة الأساسية التي يعتمد عليها أن السلوك الاقتصادي يتغير من عام لآخر ويختلف بين الدول، وهو الأمر الذي لا يصعب فهمه على خبراء الاقتصاد.

كتب ستيفن لاندسبيرج في كتابه (فيلسوف الاقتصاد) في كلمات مختصرة: الناس تستجيب للحوافز.

إن علم الاقتصاد في جذوره هو دراسة الحوافز، كيف يحصل الناس على ما يريدون أو ما يحتاجون، لا سيما عندما يكون أناس آخرون يريدون الشيء ذاته، أو يحتاجونه؛ والاقتصاديون يحبون الحوافز، يحبون أن يحلموا بها وأن ينفذوها ويدرسوها. ومن أكثر الأمثلة وضوحاً فيما يخص الحوافز ما جاء وصفه فيما سبق، فعندما ينخفض سعر منتج معين نميل إلى شراء المزيد منه. وبالطبع هناك استثناءات لهذه القاعدة، بيد أنها ليست بالكثيرة.

سؤال مهم: لماذا نشترى الكثير من شيء ما عندما ينخفض سعره؟ يتقيد غالبية الناس بمستوى دخولهم وما يستطيعون إنفاقه، وبسبب هذا التقيد نحدد ما ننفقه على أساس الضرورة والرغبة.

أما الآن فقد حان الوقت لمناقشة لغز بسيط؟! ما الذي يحدّد كيفية إنفاق نقودنا. لماذا نفضل بعض الأشياء على غيرها؟! قد تكون إجابة بعض الأفراد على هذه الأسئلة: الحاجة. لكن هناك شيء آخر يحدد كيفية إنفاق أموالنا وهو الذوق، أذواقنا الشخصية.

ففي دراسة إحصائية على عينة من الأسر عددها أكثر من ٧٠٠٠ أسرة تبين أنهم ينفقون على وسائل الترفيه أكثر من إنفاقهم على مآكلهم. وبعُد، فإننا ما زلنا نحتاج إلى الإجابة على السؤال: لماذا ننفق أموالنا بهذه الطريقة؟ قد يبدو ذلك تافهاً ولكن شغل هذا الأمر بالعدد من خبراء الاقتصاد. فلقد اهتموا بقدر الإشباع أو المنفعة التي يتحصل عليها الأفراد من استهلاك الأشياء. وقد اعتقد بعضهم أنه من الممكن قياس ذلك. لكن الحقيقة تقول إن قانون تناقص المنفعة الحدية لا ينطبق على كل شيء. فمن الأمور الممتعة التي يكشفها علم الاقتصاد، التفكير في استثناءات لكل قاعدة.

ختاماً يمكن القول إن الفكرة الأساسية هي أن الحوافز جزء أساس من علم الاقتصاد. ويمكن توصيلها لمجالات أخرى في الحياة...



## شهادات اقتصادية ( ٣٥ )

### العنوان : دولنة اقتصادية

**الرسالة : أصبح من الصعب ترسيم حدود الاقتصاد الوطني فهناك تشابك هائل بين الاقتصاد**

إن من اللازم في الدول العربية أن تتم عملية كبيرة لإعادة صياغة دور الدولة، بحيث تركز على التنمية البشرية. ذلك لأن المعلومات والمعرفة لا تعترفان بحدود سياسية سيادية للدولة، فالسمة الأساسية للاقتصاد الدولي المعاصر هي دولنة الاقتصاد أي أنه أصبح من الصعب ترسيم حدود الاقتصاد الوطني فهناك تشابك هائل بين الاقتصاد، خاصة ومعظم السلع المركبة تنتج مجزأة في مناطق شتى. ويتوازي مع هذه ما أطلق عليه عولمة الأسواق التي أصبحت متشابكة إلى حد كبير.

لقد كان آدم سميث يؤمن بأن العادات التي أنشأتها الرأسمالية سوف تنتشر إلى بقاع الأرض بسبب تفوقها في إيجاد ثروة الأمم. وكان كارل ماركس يؤمن بأن الرأسمالية سوف توحد العالم في سوق واحد كبير، بعد أن تدك السلع المتداولة في التجارة الدولية. وقد تبعهما في هذا الإيمان واليقين مئات بل وآلاف من أساتذة الاقتصاد وأنصار وتلاميذ العلوم الاجتماعية طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.

وصار هؤلاء يمثلون تياراً عريضاً في الفكر السياسي والاجتماعي، وذلك بغض النظر عن موقفهم من الرأسمالية. فقد صارت فكرة أن الرأسمالية قادرة على التوحيد الاقتصادي للعالم كله، ليس مجرد نظرة علمية، وإنما أصبحت نوعاً من الاعتقاد التنبئي بما يجعلها لدى الكثيرين في صف واحد مع اليقين. بيد أنه حتى أنصار مدرسة سوق واحد حتمي في كوكب الأرض، بتأثير وضغط الرأسمالية لم يدر بخيالهم المدى المذهل الذي تتحقق به تنبؤاتهم ونحن في أوائل القرن الواحد والعشرين. فالسلعة صارت لها قوة عجيبة وقدرة فريدة على النفاذ عبر الحدود، واختراق الأسوار، والانتشار حتى في الثقوب الصغيرة. ومن الناحية العلمية لا نستطيع أن نتحدث عن كوكب اقتصادي أرضي واحد بعد، فلا يزال هناك تعدد في النظم الاقتصادية، حتى بعد انهيار الاشتراكية كنظام منافس ومناقض للرأسمالية.



فهناك تكتلات تتصارع حول الامتيازات داخل وخارج نطاقاتها السياسية والاقتصادية بوسائل لا يرضى عنها أساتذة الاقتصاد الرأسمالي. وهناك حدود كثيرة بين الأمم والأقاليم والثقافات تجزئ الاقتصاد العالمي وتشوش كثيراً صورة توحيده.

فعلى المستوى الاقتصادي هناك عولمة أو كوكبة للسلع، ولكن هناك عملية موازنة لإعادة إنتاج الفقر والثروة وهو ما يترتب عليه تضاعف الحرمان في مناطق كثيرة من العالم. وعلى المستوى الاتصالي، أدت ثورة التقنية المعاصرة إلى جعل العالم قرية اتصالية صغيرة. وعلى المستوى السياسي، يتحدث بعض السياسيين عن نظام عالمي جديد.

في ظل هذا كله، لا يمكن أن تكون الكوكبة الاقتصادية عملية إيجابية، بل هي بتأثير الرأسمالية عملية حافلة بالتوترات والتناقضات.

من هذا المنطلق، يمكننا أن نرى عملية توسع مجال الحركة للموارد الاقتصادية المادية، والتي تؤدي إلى تنميط متزايد لشروط المبادلات الدولية أي حركة السلع، التجارة السلعية، وحركة التقنية، وحركة رأس المال، أي تجارة الائتمان الدولي.

يقول ديمحيي مسعد في كتابه "ظاهرة العولمة": لقد خلط الاقتصاديون بين الوطنية الاقتصادية وفكرة أفول النزعات الوطنية، مما أدى بهم إلى التنبؤ بنهاية عصر المدرسة الوطنية عموماً، وفي مجال الاقتصاد بصفة خاصة. وبدت لهم الكوكبة الاقتصادية نقيضاً للوطنية الاقتصادية على كل المستويات بالنسبة لكل الأمم والشعوب.

والواقع، أن نبوءة اضمحلال الوطنية قد ظهرت منذ بداية الخمسينيات. ومع ذلك فالظاهرة الواضحة على نحو متزايد هي التأكيد المضاعف على الوطنية وعلى سلطة الدولة الوطنية وسيادتها.

لقد ارتبطت الوطنية الاقتصادية في الماضي باستخدام الأدوات الإدارية والسياسية لتحقيق المصالح الاقتصادية الوطنية. وأهم هذه الأدوات هي سياسة لحماية التجارية، وضمان السيادة الوطنية على الثروات الطبيعية، والإجراءات التقليدية الخاصة بالاستثمارات الأجنبية ونقل التقنية.

إنه من غير الممكن توظيف هذه الأدوات والإجراءات التي مثلت الشكل الأساسي للوطنية الاقتصادية في عقدي الستينيات والسبعينيات إلا إذا رغبت الدولة في عزل نفسها عن الاقتصاد العالمي، وهو أمر ثبت أنه يضر أكثر مما ينفع.



إن الوطنية الاقتصادية يمكن أن تضمحل في الظروف الجديدة للنظام العالمي، وخصوصاً جانبه الاقتصادي، إلا إذا استطاعت الأمم والدول الوطنية أن توجد أشكالاً جديدة لتعظيم مصالحها الاقتصادية. وهذا هو التحدي الذي يواجهه العالم الثالث عموماً، والوطن العربي خاصة. فجوهر الوطنية الاقتصادية يمكن أن يستمر حتى في الطور الجديد لتطور الاقتصاد الكوكبي المعولم.

ولكن: كيف تنجح الأمم، وخصوصاً عالمنا العربي والإسلامي في تحسين موقعها التوزيعي في إطار عملية العولمة الاقتصادية؟!

إن جوهر المنافسة التوزيعية هو التسابق حول الحصول على فرص أفضل للنمو الاقتصادي والقلب المحرك لفرص النمو الحقيقي للاقتصاد الوطني هو البشر من ناحية، والتقنية من ناحية أخرى.

ومن ثم، فينبغي وضع استراتيجيات نمو وتطور جديّة في العالم العربي، ترتكز أساساً على مفهوم التنمية البشرية، فالفوارق بين تنافسية وإنتاجية الأمم ومعدلات تطورها تتفق مع الفوارق في المستويات المتحققة للتعليم والصحة وتدريب وتنظيم القوى العاملة.

إن الوطن العربي يحتاج بصورة حاسمة من أجل تأمين مستقبله الاقتصادي والسياسي إلى التركيز على التنمية البشرية. حيث صارت معظم الدول العربية، وخصوصاً الأقل غنى، من بين أقل دول العالم إنجازاً في مؤشرات التعليم والصحة والحقوق الإنسانية للسكان، كما يظهر بوضوح من تقارير التنمية البشرية السنوية الدولية.



## شهادات اقتصادية ( ٣٦ )

### العنوان : حقائق اقتصادية

الرسالة : إن حقائق مهمة ستسود مستقبلنا لتحيل يأس المتشائمين إلى أمل باسم للغد

لقد أصبحت البشرية الآن على بيّنة ودراية بالكيفية التي تنتج بها الوافر من الطعام، وبالكيفية التي تحرر بها الناس من خوف الجوع وعبء ما يتحملون من أُنقال السقام والأمراض والشقاء.

إن حقائق مهمة ستسود مستقبلنا لتحيل يأس المتشائمين إلى أمل باسم للغد، فقد مارسنا فعلاً طرقاً ستزيد من رصيدنا، ومصادر كوكبنا المتنوعة أكثر مما قد نتوقعه؛ ولذلك سنتلافى في المستقبل المجاعات في السلع بواسطة توسيع مصادرنا الحالية، وتبديل حاجتنا بمواد أخرى، قبل أن تؤدي الندرة إلى المجاعة. وقد تبددت المخاوف المالتسية لتبكير المجاعة الإنسانية بالثورات الصناعية والتجارية التي حدثت منذ قرنين مضيا، فأصبحت الزراعة الآن على أهبة الخروج من الاعتماد الاعتباطي على الحظ والمواسم المتغيرة. ولذلك فإن الإنتاج المستقبل للطعام واستهلاكه الحكيم يحمل آمالاً مدهشة لأحفادنا.

ومن أجل الوصول إلى ذلك لا بد من:

- (١) تحسين كل من قوة ومدى زراعة وخصوبة حقولنا وأراضينا الزراعية.
- (٢) صيانة أكبر نصيب من محصول الزراعة للاستغلال الإنساني بالتغلب على الأمراض والطفيليات.
- (٣) تربية نباتات وحيوانات وانتقائها للتنمية الزراعية.
- (٤) الانتقال بالتدرج من زراعتنا الحالية المعتمدة على التربة إلى أخرى جديدة أكثر كفاية وكفاءة.

إن الإنسان اليوم في خشية وقلق على مصيره، فالاعتقاد الشائع أن ما في العالم من مواد غذائية لن يكفي عدد السكان الآخذ في الازدياد بصورة مخيفة.



بيد أن الأبحاث والدراسات والتقارير العالمية تؤكد على مستقبل مشرق؛ لتحسين حياة الإنسان ووفرة الطعام وسرعة نموه، إن مجال البحث العلمي يتسع باطراد، وذلك سيؤدي بالإنسان إلى صنع الأطعمة التي يحتاج إليها بطريقة أكثر كفاءة وفاعلية إلى جانب الاستفادة من الجبال بزراعتها، ومن البحار باستغلال خيراتها، واكتشاف كل مصدر غذائي يمكن أن يوجد في عالمنا. وعندما نقوم بذلك يمكن أن يصبح العالم جنة أبعد مما تتطلع إليها آمالنا، ويمكن أن يكون مستقبلنا مليئاً بالوفرة أبعد من أوسع خيالاتنا. وأكثر ما نحتاج إليه لتأمين مستقبلنا، ولنضمن للعالم السلام، والرخاء للإنسان، هو عدد مستمر من عقول حسنة التدريب وفوق المتوسط، تستطيع حل المشكلات حين وقوعها، إن لم تستطع تقديم الحلول الوقائية لها.



## شهادات اقتصادية ( ٣٧ )

### العنوان : حضارة اقتصادية

الرسالة : من الواضح أن حضارتنا، تواجه مخاطر سكانية و بيئية

إن إحدى المشكلات العالمية الأكثر إلحاحا على المدى الطويل بيئيا واجتماعيا، هي مشكلة الانفجار السكاني، الذي يسبب نزيفا شديدا لموارد الكوكب. لقد استغرق الوصول إلى عدد سكان العالم ما يقارب البليون، والذي حدث عام ١٨٣٠، عدة ملايين من السنين. وقد أضيف بليون آخر بعد قرن واحد فقط. وتضاعف عدد السكان مرة أخرى بحلول عام ١٩٧٥ إلى ٤ بلايين. وفي العشرين عاما التي تلت، ارتفع عدد سكان العالم إلى ٥,٧ بليون. وفي كل عام نضيف ٩ ملايين شخص آخر إلى الكوكب.

إن هذا الانفجار السكاني، الذي لم يسبق له مثيل، يفرض ضغطا هائلا على موارد الغذاء والنظام البيئي والتنوع الحيوي، وحسب معهد مراقبة حالة العالم وصل صيد السمك في العالم عام ١٩٩٧ إلى ١٠٠ مليون طن/العام. وبالمثل فإن الإنتاج العالمي من الحبوب وصل إلى القمة عند ١,٧ بليون طن/العام. كما تعادل مساحة الغابات المزالة كليا مساحة قارة الولايات المتحدة. ويعني هذا توافر أراض أقل لزراعة الأغذية والقضاء على أصناف كاملة من النباتات والحيوانات، ويقدر بعض علماء الأحياء أننا قد نفقد مليون صنف في نهاية القرن، وحوالي ربع كل الأصناف على الأرض، بحدود منتصف القرن الحادي والعشرين.

ولذا ، يؤكد عالم الأحياء روبرت كيتس، أنه كانت هناك تاريخيا ثلاث موجات من الانفجارات السكانية، توافقت كلها مع إدخال علم وتقنية جديدين: لقد بدأ الانفجار السكاني الأول منذ حوالي مليون سنة، عندما اكتشف البشر استخدام الآلات، مما أطلق زيادة في سكان العالم من بضع مئات الآلاف إلى ٥ ملايين. وأنت الثورة الثانية التي بدأت منذ ١٠ آلاف سنة مضت مع اكتشاف الزراعة، وتدجين الحيوانات والنباتات، وفي هذا الوقت نما السكان مائة ضعف إلى حوالي ٥٠٠ مليون. وبدأ الانفجار السكاني الثالث منذ عدة مئات من السنين مع الثورة الصناعية.

والسؤال هو: هل يستطيع العالم الاستمرار في إطعام سكانه، بينما يستمر عددهم في التزايد بمعدلات سريعة؟





إن هذه الزيادة الهائلة في عدد السكان قد تنتهي في يوم ما، وتقدر الأمم المتحدة أن عدد السكان سيتباطأ تدريجياً، ليصل إلى ٦ بلايين عام ١٩٩٩ وإلى ٧ بلايين عام ٢٠١١، و٨ بلايين عام ٢٠٢٥، و٩ بلايين عام ٢٠٤١، و١٠ بلايين عام ٢٠٧١، وقد يستقر في النهاية عند حوالي ١٢ بليوناً في القرن الحادي والعشرين.

ومن الواضح أن حضارتنا، التي هي من النوع صفر، تواجه مخاطر بيئية ضخمة حتى القرن الحادي والعشرين، وقد تضطر الدول التي قاومت تاريخياً التعاون مع بعضها إلى مواجهة هذه القضايا العالمية والتعاون معها بشأنها.

لقد كانت الحضارة نعمة على الإنسانية، ونقمة عليها في الوقت ذاته. لقد عشنا ٩٩ في المائة من تاريخ الوجود البشري على شكل قبائل صغيرة وبدائية ومتجولة، تدعم اقتصادياً حوالي خمسين شخصاً أو ما يقارب ذلك، (لقد أظهرت الدراسات أن القبيلة عندما تتوسع إلى ما بعد هذا الرقم تقريباً، فإنها لا تستطيع إطعام كل أعضائها الإضافيين ودعمهم، ولذا فهي تنقسم). إن ما جمع هذه القبائل مع بعضها كان الثقافة: من طقوس وعادات ولغة قدمت الحماية والدعم من الأصدقاء والأقارب. لقد دعمت الحكايا والأساطير البطولية، التي كانت تقص حول مواقد النار القديمة، الروابط ضمن القبيلة. وقد أعطانا هذا، أيضاً، التنوع الحالي للبشرية والفسيفساء الغنية لآلاف اللغات والأديان والطقوس الموجودة الآن. ولكن الثقافة كانت لعنة أيضاً، لقد قوى عدد من هذه الأساطير عقيدة ((نحن)) ضد ((هم))، التي سببت منافسات عنيفة وحروباً قبلية بين ثقافات الأقوام الرحل هذه.

ومع ذلك، فإن الثورات العلمية الحالية تطلق قوى ستبدأ في القرن الحادي والعشرين ولأول مرة منذ ١٠٠ ألف عام، في الحد من العوامل التي حافظت على هذا التشتت العظيم. فالاتجاهات القديمة والمركزية التي فرضت هذا التشتت تتلاشى تدريجياً، ونرى هذا الميل نحو حضارة كوكبية على جبهات عديدة: صعود الاقتصاد العالمي، وتفقر الدول ونمو الطبقة الوسطى في العالم، وتطوير لغة عالمية مشتركة، وبروز ثقافة عالمية.

وتتمثل العقبة الرئيسية أمام حضارة كوكبية في حقيقة واضحة، هي أن السلطة السياسية هي في يد حكومات أو أمم غيورة. ومن الواضح أننا نعيش في حقبة الأمم. والأكثر من ذلك، فإن حكم الأمم سيستمر لمعظم القرن الحادي والعشرين. ومع ذلك فنحن ننسى أحياناً أن الدولة ظاهرة حديثة نسبياً على المسرح التاريخي، وقد جاءت بشكل رئيس في أعقاب الثورة الصناعية وصعود الرأسمالية. إن الدولة ليست فكرة خالدة.



## شهادات ( ٣٨ )

### العنوان : مقاييس اقتصادية

الرسالة : إن قياس اقتصاد المستقبل هو حقاً أصعب جوهرياً  
من قياس اقتصاد الماضي

اعتدنا كثيراً على معايير القياس المختلفة التي نستعملها على نحو شائع حتى إننا نادراً ما نتوقف للتفكير في صلاحيتها لعالم اليوم أو في تاريخها. فلدينا تخمة من الأرقام لقياس كل ناحية من نواحي الحياة. على أن الوضع لم يكن هكذا دائماً. إن قياسات الزمن والمسافة التي نستعملها اليوم تطوّرت ببطء ، وكل تحسين واجه في الغالب مقاومة ممن لهم مصلحة مكتسبة في المقاييس المألوفة. والزمن مثل جيد على ذلك. فقد طوّر المصريون واحدة من أوائل وسائل القياس الناجحة عندما خطر لهم أن يستعملوا ظلّ الشمس لقياس مرور الزمن. وكانت النتيجة أول ساعة شمسية بسيطة. وبمنطق يدعو إلى الإعجاب ، رغم أنه في غير موضعه ، وضعوا علامات الساعة على مسافات متساوية من بعضها البعض. ونحن نعرف الآن أن هذا أنتج بالفعل ساعات ذات أطوال غير متساوية ، تختلف حسب اختلاف فصول السنة. لكن ، ونظراً لعدم وجود وسائل قياس بديلة ، تعود الناس على الاعتماد على هذه الآلات الشاذة إلى حد ما ، واقتنعوا بدقتها.

بعد حوالي خمسمائة سنة من إنشاء أول ساعة شمسية ، اخترع المصريون الساعة المائية. وقد فزع الصناع المهرة عندما اكتشفوا أن ساعاتهم المائية الجديدة لم تدل على نفس الوقت كالساعات الشمسية. فافترضوا أن الساعات الشمسية التي ظلّت تُستعمل منذ قرون كانت دقيقة ، فصرفوا وقتاً طويلاً بمحاولات غير مجدية لبناء ساعة مائية غير دقيقة تماماً كالساعة الشمسية.

إننا عندما نواجه موقفاً جديداً فإننا نقيّمه حسب أحد مقاييس خبرتنا. ونحن الآن وسط ثورة تقنيّة واقتصادية هائلة. ومع ذلك ، فنحن معتادون على استعمال المقاييس الاقتصادية والاجتماعية التي طوّرت العالم نحو العصر الصناعي حتى إننا قلّما نتوقف لنفكر بأن المقاييس القديمة للتقدم والانحلال ، والنجاح والفشل أخذه في فقدان فائدتها بسرعة. فالكثير من الهستيريا الاقتصادية التي أصبحت خلفيّة متواصلة لمناقشة السياسة الحكومية أو استراتيجية العمل يمكن أن نعزوها على عدم دقة مقاييسنا الاقتصادية وعدم علاقتها بالموضوع.



ويبدو أن الفائدة المتناقضة لهذه المقاييس هي أحد الأسباب التي جعلت العديد من اقتصاديين الجيدين مخطئين ، إلى هذا الحد ، بشأن اتجاه الاقتصاد بالفترة الأخيرة. ففي الأعوام السبعة أو الثمانية الأخيرة من عقد الثمانينات ، كانت التكهّنات النمطية الاقتصادية الموثوقة كما يلي: (( نحن مندهشون من قوة الاقتصاد في هذا الربع من السنة لكننا نتوقع بأن الربع الثاني أضعف وأن يحدث الركود الاقتصادي بعد أربعة أو خمسة أرباع )) . وكلمات كهذه دوّت من كل منبر خلال تلك الفترة. ومشكلة هذه التكهّنات القياسية أنها كانت مغلوبة لفترة طويلة ، رغم كونها كالساعة المتوقفة التي تكون صحيحة مرتين في اليوم ، فقد وصفت الواقع في تلك اللحظة. وما تظهره هذه التكهّنات الفاشلة هو أنه حتى الناس الجيدين يصدرون نداءات رديئة عندما يكون عليهم أن يستعملوا معلومات رديئة.

إن قياس المعرفة ، وهي الرأسمال الأساس في اقتصاد المعلومات ، أصعب بكثير من قياس الثروة المادية والموجودات الحقيقية التي كانت تسيطر سابقاً على الفكر الاقتصادي. وعندما يتضح أن اليوم مختلف فعلاً عن الأمس ، فإن الأمم قد تضطر ، ليس فقط إلى تغيير الطريقة التي تقيس بها اقتصادياتها بل إلى تعديل طموحاتها لتنظيمها وضبطها أيضاً. وإذا تبين أن قياس الاقتصاد المستقبلي هو حقاً أصعب جوهرياً من قياس الاقتصاد الماضي ، فقد تضطر الحكومات أن تتخلى عن الكثير من سلطات التخطيط والسيطرة التي اكتسبتها خلال مئات الأعوام العديدة الماضية.

إذن هل يجب أن يكون هناك اعتماد أقل على المقاييس التقليدية كأرقام التجارة والميزانية التقليدية ، واعتماد أكثر على الإنفاق على البحث والتنمية ، وعلى مدى الاستثمار في الخارج ونسبة الصناعات عالية التقنية لشركات الخدمة والتغييرات في البنية الصناعية وتحرك القوى العاملة ، وإنتاجية العمال ورأس المال ، ومساهمة المشاريع المطوّرة بطريقة جديدة.

إذ عندما تتغلغل السوق العالمية في جميع أنحاء الكرة الأرضية ، سيفهم واضعو السياسة من الدول المختلفة بأنه حتى أقوى دولة لا تستطيع أن تتحكم كلياً في مصيرها ، بل ستضطر بصورة متزايدة إلى التعاون في قضايا اقتصادية كانت تعتبرها بأنها اهتمامات وطنية خاصة تقريباً. وهذا ، بحد ذاته ، سيجبر على إعادة فحص الوسائل التي تقيس بها اقتصادياتها الوطنية ، وقد تستجيب بحماسة بجهد دولي نشط لجمع بيانات أكثر معنى عن الاقتصاد العالمي.



## شهادات اقتصادية ( ٣٩ )

### العنوان : قعقة اقتصادية

الرسالة : إن التنمية في عصر العالمية الجديدة ستكون غير متكافئة لأسباب متأصلة في البلدان ذاتها

من الصعب أن نتصوّر كيف يمكن للنمو الاقتصادي أن يحدث في الجنوب الفقير دون تجارة واسعة وتبادل فني، وتعاون مع الشمال الغني، وبالمثل فإن من الصعب أن نتخيّل كيف يمكن للشمال الغني أن يحقق أمنًا أكبر دون التعاون العادل والمنصف مع الجنوب الفقير، أما إن نتصور خلاف ذلك، فمعناه العودة إلى حالة أشد من العزلة ومن الصراع بين الدول، ومن الفوضى الدولية.

إن جهود التنمية غالبًا ما تؤدي إلى زيادة الهجرة من الجنوب إلى الشمال، والسبب في ذلك هو أن الميكنة وزيادة الكفاءة المطلوبة لزيادة الإنتاج ستعني أن أعدادًا كبيرة من العمّال سيفقدون عملهم، وبارتفاع البطالة سيرتفع أيضًا عدد الناس الذين يسعون إلى إيجاد ملجأ لهم في مكان آخر، وقد تستمر هذه العملية على مدى عدة عقود؛ لأن التنمية تكون تدريجيّة حتى في أحسن الظروف.

ومن المقدر أن أكثر من ٨٠ مليونًا من البشر في العالم حاليًا هم في حالة حركة، وهذا الرقم يشمل أناسًا كان دافعهم إلى مغادرة أوطانهم هو الحروب، أو القمع السياسي، أو الكوارث البيئية، أو خطر المجاعة، أو الصعوبات الاقتصادية، أو الرغبة في تحسين ظروفهم وحوالي ٢٠ مليونًا منهم لاجئون سياسيون ممن ينطبق عليهم تعريف ميثاق الأمم المتحدة بأنهم أفراد يبحثون عن ملجأ لخوفهم من الاضطهاد المبني على أسس واقعية حقيقية.

والمهاجرون المحتملون يتركزون بشدة في المناطق الفقيرة من الجنوب، وهم ينتقلون إلى بلدان مجاورة لهم في مناطقهم، وكذا يحاولون بشكل متزايد الانتقال إلى مناطق متقدمة صناعيًا، مثل: أوروبا وأمريكا، إن هناك اتجاهًا لإلقاء اللوم بشأن الهجرة الحالية من الجنوب إلى الشمال؛ أي: من الفقر إلى الغنى على فشل التنمية في الجنوب الفقير، والحقيقة أن عقد الثمانينيات وهو عقد التنمية قد تميز بالركود الاقتصادي، وبالمستويات المتناقضة للدخل الحقيقي للفرد.



وسينظر إلى هذا العقد تاريخياً باعتباره فترة من التحول الدرامي نحو عالمية الأسواق، وما يرتبط بذلك من تنسيق عالمي للسياسات الاقتصادية الوطنية، لقد عانت بلدان العالم الثالث التي حدث فيها قدر من النمو الاقتصادي في العقود الأخيرة بشكل عام في فترات طويلة من البطالة العالية، ومن الهجرات الكبيرة منها.

يقول "الان سيمونزر" الباحث الاجتماعي الكندي: إن معدلات النمو السكاني الطبيعي العالي وتأثير الميكنة في الزراعة والصناعة أوجدت أعداداً من العمّال في هذه البلدان أكبر مما يمكن أن يستوعبه الاقتصاد المحلي، وعلى مدى الثمانينيات خسر عدد أكبر من البلدان اقتصادياً، وولدت البطالة المتصاعدة وانخفاض الدخل الحقيقي فيها أزمات سياسية وضغطاً متصاعداً من أجل الهجرة.

إن التنمية في عصر العالمية الجديدة ستكون غير متكافئة لأسباب متأصلة في البلدان ذاتها، وستستمر حتماً في توليد ضغوط كبيرة للهجرة الدولية، وستتغير الأماكن التي يخرج منها المهاجرون بتغير الظروف العالمية، كما أن تحول الإنتاج إلى العالمية قد دَعَمَ التقسيم الدولي للعمل؛ حيث تتركز في الشمال الغني الوظائف المتعلقة بالعلم والتقنية والتصميم، والمالية والإدارة والرقابة، بينما تتركز في الجنوب الفقير وظائف الصناعات التحويلية اليدوية التي تحتاج إلى كثافة الأيدي العاملة، ويؤدي النمو الاقتصادي في الشمال الغني إلى الطلب المتزايد على الخدمات والأنشطة المعاونة الرخيصة في البلدان المتقدمة ذاتها.

إن الاتجاهات الحالية للهجرة من الجنوب للشمال هي نظام عالمي من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة التي يفضلها ويعززها الشمال، إن الحلول المقدمة لإيقاف الهجرة ينبغي أن تشمل على خطة طويلة المدى، وأن تؤدي الجهود الدولية الحالية للتنمية إلى الإقلال من الهجرة على المدى الطويل.



## شهادات اقتصادية ( ٤٠ )

### العنوان : جنة اقتصادية

الرسالة : إن الاقتصاديين، في طول البلاد وعرضها، كانوا يرسمون  
ويعدلون منحنياتهم الفليبسية الخاصة

كان علم الاقتصاد، في منتصف القرن الماضي ولبرهة من الزمن، يبدو ذلك العلم الواسع الصعب المرتقى الذي خلت مادته من أي رونق جذاب، وقد قدم نتاجاً تعوزه البشرية جمعاء. ذلك النتاج يتمثل في طريقة تحقيق الازدهار ومن ثم أساليب الحفاظ عليه. وقد ابتدع أصحاب السلطة في البلاد ومستشاروهم من علماء الاقتصاد أساليب كثيرة لتخليص الاقتصاد الوطني والعالمي من خطر الكارثة والمجازفة. فكانت ذات صبغة عقلانية تنبئ بواقع المستقبل وتحمل طابع التحليل الاحصائي العميق بحيث ان صارت الحكومات تعتقد ان كل ما ينقصها فقط هو مجرد ان تجمع بين هذه الأساليب جنباً إلى جنب مع الكادر الخبير والمال المطلوب حتى تستطيع ان تجعل الحياة الاقتصادية تلي رغباتها.

وعلى أساس من هذا الاعتقاد الخاطئ فقد ذهب الزعيم الصيني ماوتسونغ إلى ان اقتصاد الصين سيقفز قفزة عظيمة إلى الأمام. وكذلك الزعيم السوفيتي خروشوف. وفي الولايات المتحدة الأمريكية كان الرئيسان كندي وجونسون ومستشاريهما، وحتى معظم الشعب الأمريكي، يظنون ان مستوى الانتاج العالمي والتفوق الاقتصادي لبلادهم مضمون حتى المستقبل البعيد، وان التدابير الضرائبية المستخدمة لتحقيق استقرار اقتصادي كفيلة بان تقضي حتى على التقلبات القصيرة الأمد التي قد تحدث في الأسعار.

اما في بريطانيا فكانوا يقومون، او كان يظن بأنهم يقومون، ببناء دولة الرفاهية المزدهرة والمتقدمة من خلال العمل ومن خلال مستوى معيشة متواضع ودائم التحسن يعم جميع الأفراد، وهم في ذلك يقتفون إلى حد ما أثر الدولة الاسكندنافية. وأما المجموعة الاوروبية الاقتصادية فهي إذ تتبنى لنفسها منهج الاقتصاد الأمريكي المتكامل باستمرار كانت تقوم بمهامها على أفضل ما يرام لصالح الدول الأعضاء الأصليين. وكان هناك ستا أو سبعا من بلدان أمريكا الجنوبية تسير في خطواتها الأولى نحو تبني هذا الاقتصاد كنظام يحتذى في قارتهم.



وأما في البلدان المتخلفة فكان الناس وحكامهم يتطلعون إلى خطط تنمية من وضع مختصين لتنظم لهم عملية الازدهار والتقدم. وفي الوقت نفسه كانت تطلعاتهم هذه موضع نظر الدول التي تمول خطط التنمية عن طريق القروض والمنح.

وقد اختلفت الطرق المتبعة لتحقيق هذا الازدهار في الأماكن التي خلت منه، والحفاظ عليه في الأماكن التي نالت منه حظاً - وذلك حسب الناحية الأيديولوجية، ولكن ليس بذلك القدر الذي قد يتصوره المرء. فمثلاً، عندما كانت الحكومتان الأمريكية والسوفييتية تتنافسان على كسب الحلفاء من الدول الفقيرة، من خلال تقديم المساعدات الاقتصادية، لم تكن منافستهم هذه تنظوي على مفاهيم مختلفة في المساعدة؛ بل على النقيض من ذلك كالتأهما كانتا تتنافسان على تقديم الشيء نفسه، من سدود مائية وشبكات طرق ومعامل أسمدة وأنظمة ري. من الناحية النظرية، كل شيء كان على أساس كبير من المنطق، وأما في الواقع فقلما سارت الأمور حسب ما رسم لها. ونعيش الآن في زمن عصيب من الإحباط في خطط النمو، تتراوح نتائجه ما بين كوارث حقيقية، إلى مجرد إحباط وخيبة أمل.

وكما نعلم جميعاً فإن البلدان ذات الاقتصاد السليم تستطيع دائماً أن تمد يد العون لانعاش التجارة في البلدان التي تقوض اقتصادها بفعل المجاعة أو الأوبئة أو الزلازل ومد المحيطات والفيضانات والنيران. وهذه الحال تتمثل تماماً بخطة مارشال التي قدمتها أمريكا.

وقصارى القول أن الاقتصاديين، في طول البلاد وعرضها، كانوا يرسمون ويعدلون منحنياتهم الفليبيسية الخاصة؛ وحتى في مدارس الاقتصاد في العالم الغربي كان الطلاب يعلمون كيف يرسمون هذه المنحنيات ويستخدمونها.

أول هذه المنحنيات التي رسمت على أساس البيانات الأمريكية تم التخطيط له عام ١٩٦٠ على يد اقتصاديين اثنين أحدهما بول سامويلسون وهو أحد كبار المؤلفين الأمريكيين في علم الاقتصاد، والحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد.

الكلام عن الاعطاب البنيوية في الاقتصاد أو النسب العالية المستمرة للبطالة لا يزيد عن ان يرجع بنا بطريق مختلفة إلى الحديث عن أغاز التأثيرات المتباينة لخطة مارشال في مد يد العون إلى اقتصاديات مختلفة ثم الفشل الذريع الذي لحق بكثير من خطط التنمية المدروسة والممولة بشكل فائق.



نحن لا نعرف كيف نحفز عامل التنمية في الاقتصاديات المختلفة؛ ولا نعرف أيضاً كيف نحول دون تردي الاقتصاديات المتطورة نفسها إلى حالة من التخلف: جانبان للغز نفسه.

الآن وقد عرّكنا عامل الزمن والأحداث، أصبحنا نعرف شيئاً واحداً: من الحمق ان نفترض ان علم الاقتصاد الشمولي على وضعه المعروف اليوم بوسعه ان يرشدنا لما فيه منفعتنا إنه حطام لا خير فيه. لقد انقضت قرون عديدة من التفكير الجاد والحديث في قضية الملاحقة القوية بين العرض والطلب، ولم تفدنا علماً بشيء يذكر عن نمو الثروات وتدهورها. إذا فیتحتم علينا ان نبحث في ثنايا سبل أخرى من الملاحقة والتفكير أكثر واقعية وأرجى إثماراً مما قد جربناه من قبل. وأما البحث لاختيار أحد المذاهب الاقتصادية القائمة فهو عقيم لا فائدة ترجى منه.

اننا نعيش واقعنا نحن؛ وليس ثمة ما يفرضه علينا غيرنا.





## خاتمة

لقد أخبرك هذا الكتاب عن الكيفية التي يرى بها خبراء الاقتصاد العالم. وفي حقيقة الأمر ربما يجلس أحدهم بجوارك الآن وأنت لا تعي وجوده، فالشخص العادي حينما ينظر إلى خبير اقتصادي لا يرى فيه شيئاً يخالف المؤلف. أما في عيون خبراء الاقتصاد فيبدو الأشخاص العاديون وفيهم شيء يخالف المؤلف. فماذا يرى خبير الاقتصاد؟! فإذا كان السؤال يعنيك، تُرى ماذا تكون إذن إجابته عليه؟! ولماذا يجب أن يعنيك هذا السؤال؟!

قد تظن أنك تستمتع بفنجان الكابوتشينو المغطى بالرغوة، ولكن خبير الاقتصاد يراك أنت والكابوتشينو كلاعبين في لعبة دقيقة معقدة ذات إشارات ومفاوضات وصراعات قوة ومعارك تعتمد على الدهاء لا العنف. ويحصل الفائزون في هذه اللعبة على جوائز ضخمة، فبعض من شاركوا في الجهد لكي تحصل على كوب القهوة الذي تحتسيه الآن يحصلون على كثير من الأموال، في حين يحصل بعضهم على أموال قليلة. يستطيع الاقتصادي أن يخبرك من سيحصل على ماذا وكيف ولماذا. أتمنى بعدما تنتهي من قراءة هذا الكتاب أن تتمكن من رؤية الأشياء بنفس عين خبير الاقتصاد.

والآن ها نحن نطل من النافذة ونلقي بنظرة محدقة على زحام المرور بالخارج. إن بعض الأشخاص ينظر إلى زحام المرور باعتباره مجرد حقيقة مزعجة من حقائق الحياة. أما خبير الاقتصاد فإنه يفكر في التناقض بين فوضى الزحام المروري والحركة السلسة داخل المكتبة فربما نتعلم شيئاً ما من المكتبة يجعلنا نمنع حدوث الزحام المروري.

وبينما يفكر خبراء الاقتصاد فيما يدور حولهم على نحو دائم، فإنهم لا يقصرون اهتمامهم على القضايا المحلية داخل بلادهم فحسب. ربما يبدو الاقتصادي وكأنه شخص يتصرف كما لو كان يعرف كل شيء عن كل شيء. ولكنه في الواقع يعكس الطموح الواضح لعلم الاقتصاد لفهم سلوك البشر كأفراد وكشركاء وكمنافسين.



كان هدفي من هذا الكتاب هو مساعدتك لترى العالم مثلما يراه الاقتصادي. لم أحدثك عن أسعار الفائدة أو تقلبات النشاط الاقتصادي، ولكنني كشفت لك بعض الألغاز الاقتصادية. كما تناولنا قضايا مهمة ومسائل ملحة وأفكار مميزة. وأتمنى بنهاية هذا الكتاب أن تكون قد أصبحت مستهلكاً أكثر ذكاءً. فالحياة اليومية مليئة بالألغاز التي لا يدرك كثير من الناس كونها ألغازاً. لذلك أتمنى أن ترى التشويق الذي ينطوي عليه تلك الأسرار الحياتية اليومية.

للتواصل مع المؤلف :

أ . د / زيد بن محمد الرماني

المستشار الاقتصادي

٠٥٠٥١٥٠٧٥١

جامعة الإمام محمد بن سعود

[zrommany3@gmail.com](mailto:zrommany3@gmail.com)



## فهرس

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة
٣	شهادات اقتصادية (١): الاقتصاد مهنة نبيلة
٥	شهادات اقتصادية (٢): سر أهمية علم الاقتصاد
٧	شهادات اقتصادية (٣): جوهر علم الاقتصاد
٩	شهادات اقتصادية (٤): علم الاقتصاد والمعرفة الجادة
١١	شهادات اقتصادية (٥): علم الاقتصاد وفن الطبخ الجيد
١٣	شهادات اقتصادية (٦): فيلسوف الاقتصاد
١٥	شهادات اقتصادية (٧): حيرة علماء الاقتصاد
١٧	شهادات اقتصادية (٨): عمالقة الاقتصاد
١٩	شهادات اقتصادية (٩): نبض حياة الاقتصاد
٢١	شهادات اقتصادية (١٠): البوابات المقفلة في الاقتصاد
٢٣	شهادات اقتصادية (١١): الاقتصاد بين الخيال والدقة
٢٥	شهادات اقتصادية (١٢): الاقتصاد بين الغموض والسطحية
٢٧	شهادات اقتصادية (١٣): الاقتصاد والتشويق
٢٩	شهادات اقتصادية (١٤): الاقتصاد ولعبة محاكاة الحياة
٣١	شهادات اقتصادية (١٥): اقتصادنا لو كان استهلاكنا أقل
٣٣	شهادات اقتصادية (١٦): الاقتصاد المريض
٣٥	شهادات اقتصادية (١٧): الاقتصاد العجيب
٣٧	شهادات اقتصادية (١٨): الاقتصاد الخلاق
٣٩	شهادات اقتصادية (١٩): اقتصاد القيمة المضافة
٤١	شهادات اقتصادية (٢٠): اقتصاد الخبرة
٤٣	شهادات اقتصادية (٢١): اقتصاد التحفيز
٤٥	شهادات اقتصادية (٢٢): اقتصاد المعرفة
٤٧	شهادات اقتصادية (٢٣): اقتصاد الثروة
٤٩	شهادات اقتصادية (٢٤): اقتصاد مجتمع الاستهلاك
٥١	شهادات اقتصادية (٢٥): اقتصاد الديموغرافية
٥٣	شهادات اقتصادية (٢٦): اقتصاد مجنون
٥٥	شهادات اقتصادية (٢٧): اقتصاد البؤس والتعاسة
٥٧	شهادات اقتصادية (٢٨): اقتصاد خارج الاقتصاد



٥٩	شهادات اقتصادية (٢٩): الاقتصاديات المشبوهة
٦١	شهادات اقتصادية (٣٠): اقتصاديات الأسلوب الجديد للحياة
٦٥	شهادات اقتصادية (٣١): الترهات الاقتصادية
٦٧	شهادات اقتصادية (٣٢): كاريكاتوريات اقتصادية
٦٩	شهادات اقتصادية (٣٣): دروس اقتصادية
٧١	شهادات اقتصادية (٣٤): فلسفة اقتصادية
٧٣	شهادات اقتصادية (٣٥): دولنة اقتصادية
٧٦	شهادات اقتصادية (٣٦): حقائق اقتصادية
٧٨	شهادات اقتصادية (٣٧): حضارة اقتصادية
٨٠	شهادات اقتصادية (٣٨): مقاييس اقتصادية
٨٢	شهادات اقتصادية (٣٩): قعقة اقتصادية
٨٤	شهادات اقتصادية (٤٠): جنة اقتصادية
٨٧	خاتمة
٨٩	فهرس



هذا الكتاب منشور في

